# القافلة

جمادى الآخرة ١٤١٣هـ - نوفمبر/ديسمبر ١٩٩٢م

## الرحلة إلى سامبورو

بسم الله الرحمن الرحيم


# القافلة

جمادى الآخرة ١٤١٣هـ - نوفمبر/ديسمبر ١٩٩٢م
THE CARAVAN - NOV/DEC. 1992

العدد السادس - المجلد الواحد والأربعون
توزع مجانًا

مجلة ثقافية تصدر شهريًا عن شركة أرامكو السعودية لموظفيها - إدارة العلاقات العامة

الصناعات التقليدية في المغرب (ص ١)


| | | |
|---|---|---|
| ١ - | الصّناعات التقليديّة في المغرب | علي حسن المرهون |
| ٨ - | الفلور: هذا الملوّث الخفي | د. زهير عبد الوهاب |
| ١٢ - | رحلة مع تقاسيم على زوارق الأيام | د. عبد الرزّاق حسين |
| ١٥ - | أشباه العلماء | د. غازي مختار طليمات |
| ١٩ - | فرضيّة الموالفة في اكتساب اللغة | د. محمّد زياد كبّة |
| ٢٢ - | قصيدتان | حسب الشيخ جعفر |
| ٢٣ - | كتب مهداة | |
| ٢٤ - | الرحلة إلى سامبورو | عادل أحمد صادق |
| ٣١ - | أولادنا كيف نتعامل معهم؟ | د. عبد الرحمن عبد اللطيف النمر |
| ٣٦ - | مفهوم الأمّة في لغتنا العربيّة | د. محمّد عمارة |
| ٣٩ - | الرجل الذي يعشق الكتب والمخطوطات | أحمد عابد شيخ |
| ٤٣ - | الأحلام (قصيدة) | جاسم محمّد الصحيح |
| ٤٤ - | فوائد الكشف المبكّر عن سرطان الثدي | د. عبد الجواد سعود |
| ٤٦ - | الرّجل والنّجوم (قصّة) | جار النّبي الحلو |
| ٤٨ - | صفحة في اللغة | د. زيّان أحمد الحاج |

الرحلة الى سامبورو (ص ٢٤)

الرجل الذي يعشق الكتب والمخطوطات (ص ٣٩)


المدير العام: فيصل محمد البسام

المدير المسؤول: إسماعيل إبراهيم نواب

رئيس التحرير: عبد الله خالد الخالد



العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران ٣١٣١١
المملكة العربيّة السّعوديّة
هاتف: ٨٧٥٦٣٩٢ - ٨٧٤٠٧٠٦ - فاكس ٨٧٣٨٤٩٠


- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كلّ ما يُنشر في القافلة يُعبّر عن آراء الكتّاب أنفسهم ولا يُعبّر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز إعادة نشر الموضوعات التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تُذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلّا الموضوعات التي لم يُسبق نشرها.


صمّمت وطبعت بمطابع الوطن بالدمّام

# الصناعات التقليدية في المغرب

بقلم: علي حسن المرهون / هيئة التحرير - تصوير: عبد الله يوسف الدبيس / أرامكو السعودية

الصانع المغربي يقوم بتشكيل النحاس والاستفادة منه في الأشغال اليدوية .

**الصناعات التقليدية تضرب جذورها عميقة في تاريخ المغرب الاقتصادي والحضاري، وتعد سمة أساسية من سمات النشاط الاجتماعي والإنساني للسكان في مختلف البيئات والتجمعات السكانية سواء كان ذلك في المدن أو القرى أو الأرياف.**

يتمتع المغرب بتنوع ثقافي خصب يتجلى في كل ابداعاته الفنية والتقليدية . وقد عرف الصانع المغربي كيف يستفيد من المعطيات الخارجية خلال أحقاب زمنية طويلة كعوامل تجديد ديناميكية دون ان يقع في خطأ المحاكاة والتكرار .

ويعد المغرب متحفا للحِرَف التقليدية ، التي أخذت تنحسر في بعض المجتمعات العالمية ، ويتمثل ذلك في ازدهار الصناعة التقليدية العريقة ، التي تعد بحق رصيدا ثقافيا وفنيا يتسم بالاصالة والابتكار .

## الخلفية التاريخية

تمثل الصناعة التقليدية في المغرب مكانة مهمة الى جانب الزراعة ، فهي تستجيب لحاجات الناس المعيشية والحياتية ، كما استطاعت ان تمتد خارج الحدود الوطنية بابراز الحضارة العربية والاسلامية من خلال تنوعها وجمالها ، إذ يصعب أحيانا التمييز بين الصناعة التقليدية والحضارة الاسلامية في جميع المجالات ابتداء بالفنون العمارية ومرورا بالأزياء الشعبية من المنسوجات القطنية والحريرية وانتهاء بالأواني المنزلية والادوات الانتاجية .

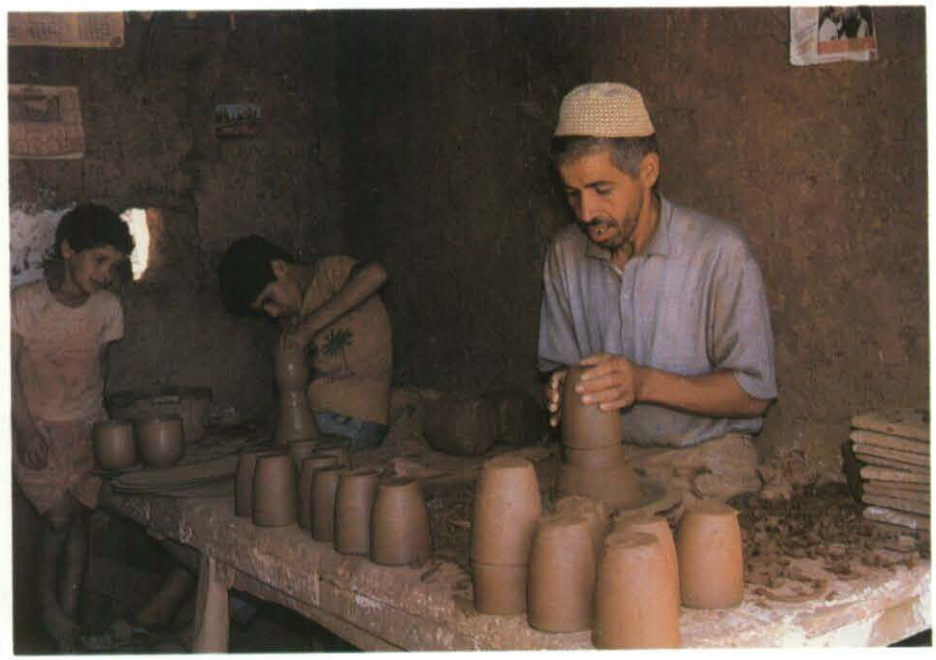

يتحول الطين على يد الصناع التقليديين الى صحون وقوارير وأوانٍ فخارية مزينة بالزخارف والنقوش العربية .

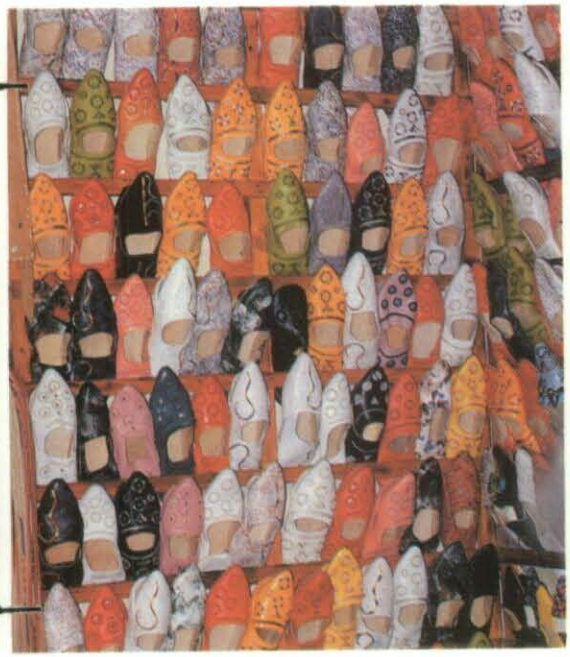

يمتاز الحذاء المغربي التقليدي بجودته وجماله .

إن نظرة سريعة على تاريخ المغرب تؤكد أن الصناعات الحرفية كانت أداة للتعريف بالحضارة المغربية ودرجة تطورها ، على مدى عقود طويلة من الزمن في المغرب . ففي عهد الأدارسة تطورت عدة قطاعات مهمة ، ولعبت مدينة فاس دور الوسيط في « طريق الذهب » الذي كان يربط المغرب بأفريقيا السوداء . وفي عهد المرابطين برزت الفنون العمارية . وتفنن البناؤون والصناع في تشييد وتزيين القصور والمساجد والحدائق والمدارس ، التي تجلّى فيها الفن الاسلامي الأندلسي . وفي عهد الموحدين توسعت دائرة نشاطات الصناعة التقليدية ، وفي هذه الفترة عرفت الصناعة التقليدية مبدأ التنظيمات المهنية والحرفية . ثم شهدت هذه النشاطات ركودا واسعا على مستوى الانتاج والتسوق في عهد المرينيين ، وكان سبب ذلك الأزمة التجارية التي عرفتها اوروبا في منتصف القرن الرابع عشر . ولكن الصانع المغربي ظل يتاجر في الاسواق الداخلية بمنتجات الاقمشة والجلد . وفي عهد السعديين ازدهر التبادل التجاري بين المغرب وكل من افريقيا واوروبا ، بفضل مراقبة السلطان احمد المنصور لطريق الذهب . وفي عهد العلويين أصبحت

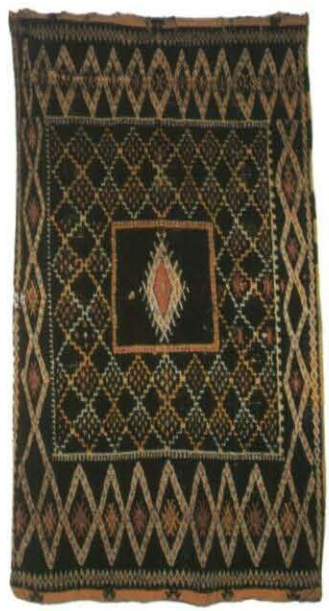

صناعة الزرابي واحدة من أهم الصناعات التي تنتشر في جميع أرجاء المغرب .

الصناعات التقليدية تشكل العمود الفقري لمجمل النشاطات الاقتصادية في المدن المغربية ، حيث تميزت بمظاهر عدة أهمها :

– انتظم الصناع التقليديون في طوائف مهنية وحرفية يرأسها الامين ويراقبها المحتسب .

– أصبحت منتجات الصناعة التقليدية مادة قابلة للبيع والمتاجرة .

– بدأت السلع الاوروبية بمنافسة منتوجات الصناعة التقليدية في الاسواق المغربية ، لكن الصناعات الحرفية استطاعت ان تحافظ على بقائها .

ثم جاء عهد الاستقلال ، فكانت فرصة لأن تستعيد الصناعة التقليدية دورها وان تثبت أقدامها بين الصناعات الأخرى .

## الأهميّـة الاقتصاديّـة

يحتل قطاع الصناعات الحرفية والتقليدية المكانة الثانية في اقتصاديات المغرب ، بعد القطاع الزراعي مباشرة ، خاصة من ناحية استيعاب الايدي العاملة . اذ يعمل بهذا القطاع ما يزيد على ٨٥٠ ٠٠٠ حرفي . ولا يشمل هذا الرقم الحرفيين والمهنيين العاملين في القرى والأرياف ، أو أولئك الذين يزاولون حرفا مهنية داخل منازلهم العائلية . ويعيل الصانع التقليدي في الوسط الحضري عائلة مكونة من ثلاثة أشخاص في المتوسط ، أما في الوسط القروي فيعيل عائلة من عشرة أشخاص . وتتجلى أهمية هذا القطاع في إسهامه في

من الصناعات التقليدية التي تشتهر بها المغرب أعمال النجارة والزخارف الخشبية .

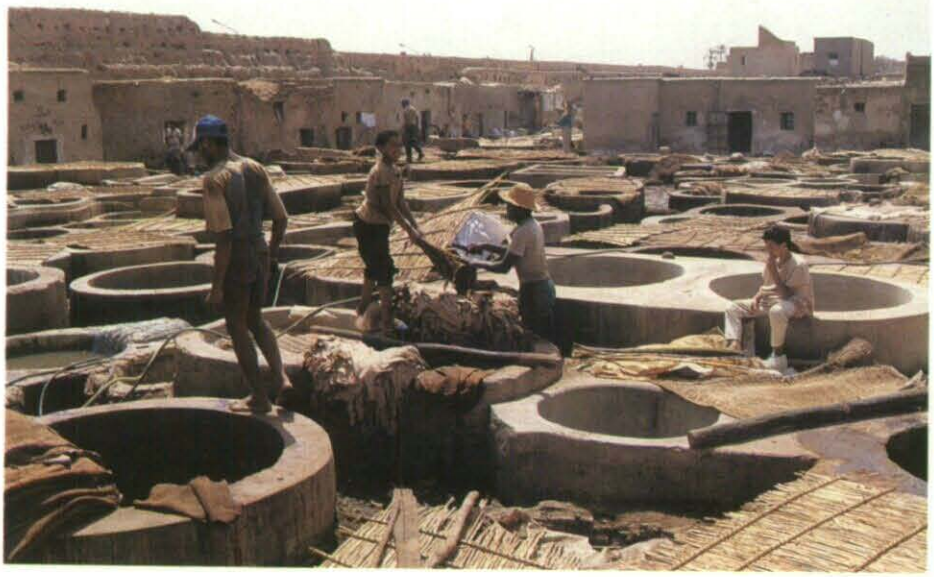

تنتشر المدابغ القديمة في المراكز التاريخية للصناعات الجلدية ، التي تشتهر بها المغرب .

الانتاج الوطني الذي يبلغ قرابة ٨٪ ، وبالمكانة التي يحتلها في سلم الصادرات ، حيث يعد مصدرا مهما لتوفير العملة الصعبة ويأتي ترتيبه بعد عائدات الفوسفات ، وعوائد العمال المهاجرين والزراعة والسياحة. ويحظى قطاع الصناعات التقليدية بعدد لا يستهان به من الاستثمارات الممنوحة التي وصلت الى ١١٠٣ مشروعات في الفترة ما بين ١٩٧٣م حتى ١٩٩٠م . وقد ساهمت هذه العوامل في ايلاء هذا القطاع أهمية قصوى بسبب الدعم والمؤازرة الحكومية والاهلية ، نظرا لمضامينه الاقتصادية والاجتماعية .

## عَجَائِب الصّناعة التقليديّة

ان المتجول في أنحاء المغرب بمدنه وقراه وجباله ، يأخذه العجب العجاب من الثراء والتنوع الحرفي الذي تزخر به هذه البلاد . فالمدن التاريخية التي لعبت ادوارا مهمة في التاريخ المغربي ، ما زالت تزخر بنفائس الصناعات التقليدية التي تعكس تراث البلاد الحضاري ، كما ان سكان الارياف والجبال ما زالوا على عهدهم يزاولون المهن التقليدية مستخدمين المواد الخام الطبيعية والحيوانية كالمعادن والأخشاب والجلود والطين والاحجار الكريمة ، لابراز مهاراتهم التي توارثوها جيلا بعد جيل . والتي توضح مدى استجابة الصناعات التقليدية للمتطلبات الفعلية للسكان ، وفي المسكن والمأكل والمشرب والملبس والمناسبات الاجتماعية ومدى ملاءمتها للظروف المناخية والمتطلبات الانسانية .

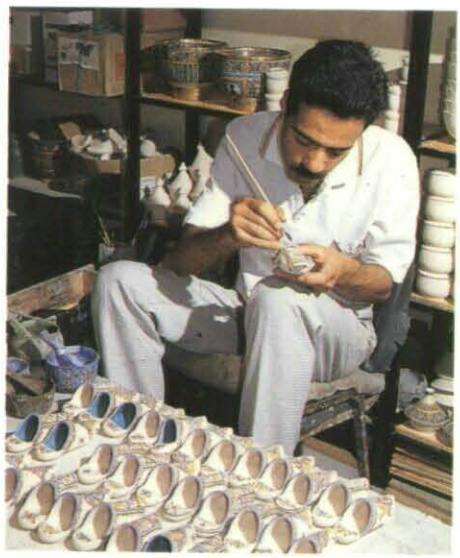

يحاول أرباب المهن التقليدية بالمغرب تطوير منتوجاتهم لتتماشى مع تغير الأذواق الاستهلاكية .

ويمكن اجمالا تصنيف الصناعات التقليدية في المغرب الى القطاعات التالية :

## الصّناعَات الجلديّة

يحتل هذا القطاع مكانة مهمة ضمن الصناعات التحويلية في التشغيل والتصدير والاستثمار ، ويستند في تاريخ تطوره على عدد من العوامل الاقتصادية والاجتماعية المتداخلة التي نمت وترعرعت داخل النسيج الاجتماعي المغربي ، وينقسم هذا القطاع الى ثلاثة أقسام رئيسة هي : الدباغة ، والسختنة ، والملابس الجلدية ، والاحذية .

## الدّبَاغَة

هي عبارة عن مجموعة من العمليات المتسلسلة والمتتالية التي تخضع لها جلود مختلف الحيوانات لتحويلها الى اجزاء من « المواد الأولية » القابلة للاستعمال في مختلف الغايات النفعية والجمالية . وتسبق عملية الدباغة عادة مرحلة التطرية ، في اطار العمليات التحويلية التي يخضع لها الجلد . ويستعمل الحرفيون مادة قشرة الدبغ المشتقة من السنديان اضافة الى مشتقات من أصول نباتية مختلفة ، لدبغ الجلد . أما دباغة الجلود الرقيقة فتتطلب استعمال مواد حجر الشيت والملح وزيت السمك . وتنتشر المدابغ القديمة في المراكز التاريخية لهذه الصناعة وتوجد بالمغرب اجمالا اكثر من

خمسين مدبغة حسب احصاءات عام ١٩٨٥م . ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الوحدات الدباغية . فهناك المدابغ التي تتجاوز طاقتها الانتاجية ثلاثة ملايين قدم مربع . والمدابغ المتخصصة في الجلود الصغيرة للغنم والماعز ، وهناك المدابغ التقليدية التي يرجع تاريخها الى الأزمان الموغلة في القدم .

## السّختنَة وَالمَلابس الجلديّة :

بعد أن تمر الجلود بمختلف العمليات التحويلية من دباغة ودعك ودمغ وتمليس تنتقل الى مراحل التهيئة والتصميم والخياطة التي تنتهي على شكل حقائب متعددة الأشكال والأحجام ، ومحافظ للورق والملفات ، وملابس جلدية جذابة .

وقد أخذت هذه المهنة تشهد تطوراً في أساليب عملها ، وتتحول تدريجياً الى استخدام الآلات الحديثة في عملياتها التصنيعية ، خاصة في ضوء الشهرة العالمية التي تحظى بها الصناعة الجلدية المغربية في الاسواق الأوروبية ، مما ضاعف من حجم الصادرات للسوق الاوروبية المشتركة من المنتجات الجلدية المغربية .

## صنَاعَة الأحذية

تدخل هذه الصناعة ضمن صناعة المواد الجلدية ، والحذاء المغربي له شهرته في السوق الخارجية . وينتقل هذا القطاع تدريجيا من طور الانتاج التقليدي الى الانتاج الآلي لمواكبة التطورات الفنية وتغير الاذواق الاستهلاكية . وتنتشر المعامل اليدوية التقليدية الصغيرة في أزقة المدن القديمة لانتاج الاحذية المغربية الجميلة ، التي تتميز بملاءمتها للاستخدام الشعبي في المناسبات المختلفة .

تستوحى صناعة الخزف زخارفها الجمالية من صميم التراث الاسلامي .

## الصناعَات المعدنيّة

تحتل الصناعات المعدنية مكانة مهمة في المحافظة على الاصالة المغربية وتنمية الدخل الوطني . وتتنوع هذه المنتجات بتنوع المعادن التي تشكلها وأهمها :

**النحاس** : إن معدن النحاس لا يضاهي بطبيعته المعادن الثمينة كالذهب والفضة ، ولكنه يتميز بالمتانة والجاذبية اللتين تجعلان له حضورا دائما في بيوت المغاربة ، سواء في الأواني المنزلية ذات الأشكال الزخرفية الجميلة ، والاستخدامات اليومية ( كأباريق الشاي ، والمباخر ، والغلايات ، والصحون ، والقدور ، وأباريق الغسيل ) ، أم في المجسمات النحاسية المتدلية كعناصر جمالية في شوارع المدن القديمة ومدارسها وجوامعها ، وقد تفنن الصانع المغربي في تشكيل النحاس والاستفادة منه بشكل فاق فيه غيره من صناع الامم الاخرى . فهناك مئات الأنواع والأشكال من المنتجات النحاسية للاستعمالات المنزلية والنفعية ، ناهيك عن الاغراض التجميلية والزخرفية للأبواب والشبابيك . وابرز انتاج صناع النحاس الحاليين « الطناجر » النحاسية الكبيرة التي لا غنى عنها في المناسبات الاجتماعية المغربية الكبيرة كحفلات الزفاف . وكذلك المواقد النحاسية ، التي تستخدم في المنازل والاسفار . وإجمالا يقوم النحاسون بصنع العديد من اواني الطبخ ، وأهمها الاناء البخاري الخاص بالاكلة المغربية التقليدية « الكسكس » ويتكون من جزءين ، الجزء السفلي لطهي اللحم والخضار بشكل بطيء ، والجزء العلوي للكسكس ليتبخر منه الماء وليتشرب بنكهة خاصة خلال الطهي البطيء . وتتركز معظم صناعات النحاس حاليا في مدينة « فاس » التي يطلق عليها مدينة النحاس والنحاسين . وتتعرض صناعات النحاس التقليدية حاليا لمنافسة شديدة من الصناعات المماثلة ، من المصانع الآلية ذات الانتاج الكبير ، مما يدفع أصحاب هذه المهنة الى مسايرة الأذواق الاستهلاكية المتغيرة عبر التجديد والابتكار المستمرين للبقاء في السوق .

**الحديد المطوّع** :ويستخدم الحديد المطوع لسد عدد كبير من الحاجات المنزلية ، حيث تحتل مهنة الحدادة جانبا مهما في الاسواق الداخلية للمدن القديمة ، للوفاء بمتطلبات الحياة اليومية . ومن ذلك صناعة الشمعدانات والقناديل ، والاسياخ ، واطارات الفوانيس والمرايا .. الخ .

**صناعة الخزف** : يقف زائر المغرب كثيرا أمام التحف والروائع المبثوثة بمختلف المباني التاريخية ، التي تتخذ من مادة الخزف موضوعا رئيسا لابراز جماليات هذا الفن العريق الذي

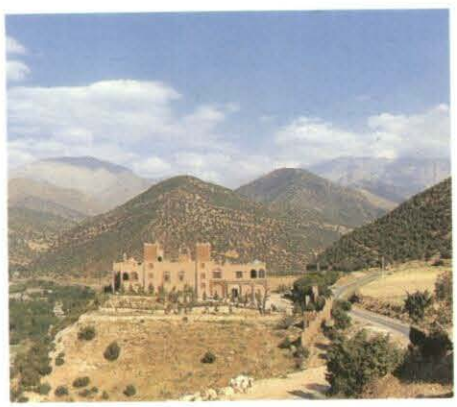

يمثل المغرب بكل موارده الطبيعية المتنوعة ، وبموقعه الاستراتيجي المميز ، مصدر إلهام للكثير من المهن والمهارات المهنية والحرفية .

تحتل مهنة الحدادة في المغرب ، جانباً مهماً في الأسواق الداخلية للمدن القديمة .

تأصلت جذوره في التاريخ والثقافة المغربية عبر أبهى الصور والأشكال الهندسية والتزويقية التي برع في اجادتها الصانع التقليدي المتخصص في صناعات الفخار والخزف . وتعود الصناعات الطينية في أصولها الى معقل الحضارات الآسيوية القديمة كالهند والصين ، ومن هناك انتقلت الى ايران فسوريا ثم الى مصر وتونس فالمغرب . وقد ظل التبادل التجاري جاريا بين فاس والاندلس حتى سقوط غرناطة في نهاية القرن الخامس عشر . ويتحول الطين على يد الصناع التقليديين الى صحون ، وقوارير وأوانٍ فخارية مزينة بالزخارف العربية . ويعتمد الصناع المغاربة الذين يتوارثون هذه المهنة العريقة أبا عن جد على المعدات القديمة حفاظا على الرونق والشكل الأصيلين . وتعد فاس أهم المراكز الرئيسة التي تحافظ على صناعة الفسيفساء والخزف بأنماطه التقليدية وألوانه المتعددة الزاهية .

**صناعة الحلى** : تمتاز صناعة الحلى التقليدية في المغرب بغنى مفرداتها الفنية ، وتنوع تصميماتها وأشكالها في الريف والجبل والمدن ، مما يجعلها مجالا خصبا للابداع والتفرد ، ويأتي في مقدمتها صياغة الفضة والذهب . فالمشغولات الفضية تلقى إقبالا شديدا لدى المرأة في المناطق الجبلية بالمغرب ، وتقبل على اقتنائها بطيب خاطر . حيث ان هذا المعدن له جاذبية خاصة لدى نساء الأرياف المغربية . ويعرف فن الصياغة في المغرب تقنيات تعبر عن انفراد كل منطقة بانتاجها وطابعها الخاص ، فصياغة الفضة في الجبال ذات شهرة واسعة لتنوع تقنياتها الحرفية كالنقش ، والترصيع ، والفتل ، التي تبدع قلائد ، وأساور ، وسلاسل وخلاخيل ، تأخذ بلباب المرأة في كل زمان ومكان .

وتعد المناطق الجبلية الجنوبية ، وأطلس الصغير ، من المراكز الحرفية المهمة لصياغة مشغولات الفضة من النوع الذي تهواه نساء البربر .

**أما الذهب** : فيلقى إقبالا شديدا في المدن الكبرى والمناطق الحضرية . وقد ازدهرت صياغة الذهب عبر توالي العصور . واستوحى الصانع المغربي الزخارف النباتية لينقشها على مشغولاته ، وتفنن في استخدام الاشكال التي استوحاها من بيئته . كما قام بترصيع الحلى الذهبية بالاحجار الكريمة . وتطعيمها باللؤلؤ . ويتركز أمهر الصاغة التقليديون في فاس ، وطنجة .

**الزخرفة الخشبية** : استفاد الصانع المغربي من الثروة الطبيعية المتمثلة في الغابات المنتشرة في الجبال ، حيث يستخدمها كمادة

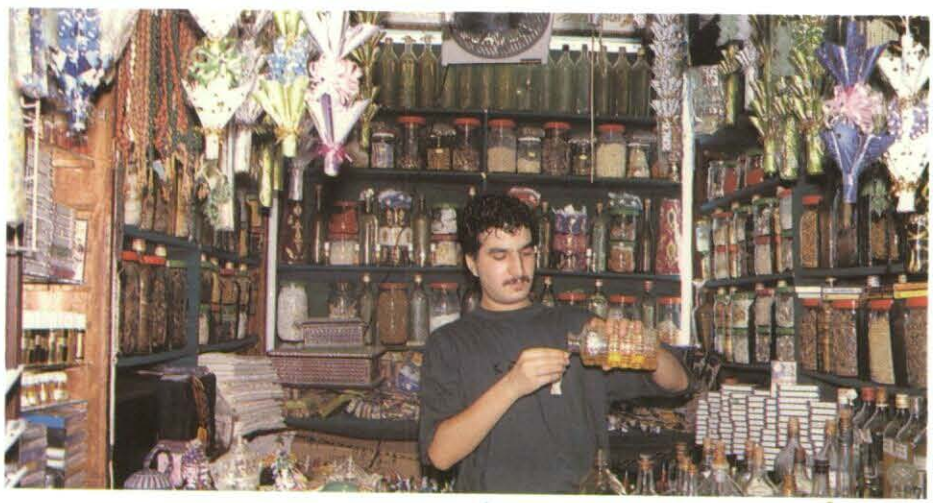

ما تزال صناعة العطور التقليدية المستخلصة من الأزهار والنباتات الطبيعية ، التي تزخر بها المغرب ، تجد لها مكاناً بارزاً في الأسواق المحلية رغم المنافسة الخارجية .

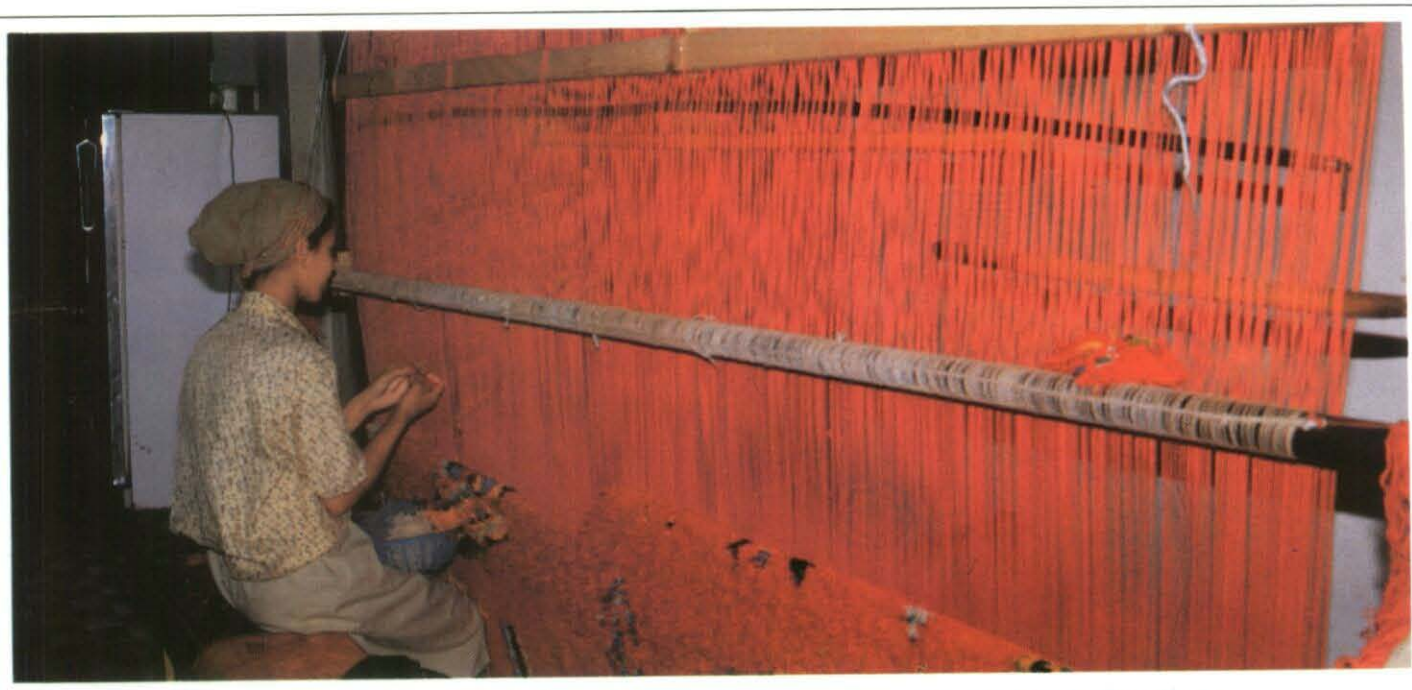

ما زالت حياكة النسيج بالنول الخشبي تستعمل من قبل الحرفيين التقليديين الذين يتوارثون تقاليد المهنة أبا عن جد .

خام في اعمال الزخارف والانشاء التي تزين المباني والقصور التاريخية ، ويحتل خشب السدر مكانة بارزة في هذا الصدد . وتستمد فنون هذه المهنة معاييرها من الفن الاسلامي عموما في ابتعادها عن تصوير الأشكال الانسانية . وتدور موضوعاتها حول أربعة محاور أساسية هي الاشكال التجريدية لمفردات البيئة ، والخطوط العربية ، والاشكال النباتية ، والتصاميم الهندسية ، التي تبلورت عبر التفاعلات والتأثيرات بين الحضارة العربية ـ الاسلامية والثقافات المجاورة . كما اتخذت فنون الزخرفة الخشبية ايضا بعدا حرفيا مهما تجلى في انتاج الابواب الخشبية والصناديق ، والقوارب ، والأدوات المنزلية . واستلزمت اعمال الزخرفة والحفر على الخشب درجة عالية من تقسيم العمل والتخصص المهني ، والمعرفة الكاملة بطرق معالجة الاخشاب وتصنيفها من حيث الصلابة والقوة . وتختص فاس وتطوان بانتاج الصناديق الملونة ، وأسرة الاطفال ، كما تشتهر بعمل المشربيات الخشبية الجميلة ، والنوافذ الشبكية التقليدية ذات الاشكال الهندسية الجذابة .

**صناعة الزرابي** : تنتشر صناعة الزرابي ، في اغلب المجتمعات الريفية والرعوية بالمغرب ، وتشكل نحو ٧٦٪ من مجموع صادرات قطاع الصناعات التقليدية ، التي تلقى اقبالا متزايدا في العالم ، خاصة في السوق الاوروبية المشتركة . وتتباين أشكال الزرابي من منطقة الى اخرى من حيث الاشكال والألوان . وتمتاز الزرابي التي يصنعها البربر من سكان اطلس الكبير بالمتانة والزخارف الجمالية .

**صناعة السلال** : برع القرويون المغاربة في استخدام خامات النباتات والاشجار المحلية في صناعة القفف والزنابيل والسلال والقبعات الملونة المصنوعة من القش وأعواد القصب وخوص النخيل . حيث تزدهر هذه الحرفة في كل قرية من قرى المغرب تقريبا ، وتقام أسواق متخصصة لهذه الصناعات في كل من فاس ومراكش وطنجة .

**الأحجار الكريمة** : تحتوي جبال أطلس على كنوز هائلة من الأحجار الكريمة المبثوثة هنا وهناك في المرتفعات والكهوف الجبلية ، حيث يسعى المنقبون من ذوي الخبرة المكتسبة ، باستخراجها من مناجمها بالطرق اليدوية ، ومن ثم ابرازها كقطع صغيرة جذابة تستخدم في تزيين وتزويق الحلى والأواني والتحف المنزلية . ويبرع سكان أطلس

هناك مئات الأنواع والأشكال من المنتوجات الفضية للاستعمالات المنزلية والزخرفية .

برع القروي المغربي في استخدام خامات النباتات والأشجار في صناعة القبعات والزنابيل والسلال .

الكبير في هذه المهنة التي تستلزم الكثير من المهارة والصبر والابداع الفني .

**التطوير المهني** : إدراكا لأهمية قطاع الصناعات التقليدية في الاقتصاد والمجتمع المغربي في المدن والقرى والأرياف ، اتخذت وزارة الاشغال العمومية والتكوين المهني في المغرب ، عدة اجراءات تهدف الى تنمية قطاع التكوين المهني ، وتحسينه ، وجعله اكثر تجاوبا مع التطورات الفنية التي تطرأ على وسائل وطرق وبنية الانتاج الحديث في العالم ، ليتلاءم مع الاذواق الاستهلاكية السائدة ، وبالتالي يحتل موقعا تنافسيا جيدا في الاسواق التجارية العالمية . وقد تركزت هذه الجهود الحكومية في المحاور التالية :

- توسيع الطاقة الاستيعابية للتكوين المهني بفتح معاهد ومراكز جديدة لتعليم مهن الصناعات الجلدية ، والزرابي ، وصناعة الاحجار الكريمة ونصف الكريمة والخزف وغيرها في مناطق التجمعات الريفية والحضرية .
- تحسين نوعية التدريب المهني وتطبيق نتائج الدراسات الميدانية .
- تسهيل دمج الخريجين ، بسوق العمل .

جانب من الصناعات التقليدية التي تعتمد على الأحجار الكريمة .

والنشاطات الحرفية عن طريق اعطاء القروض والحوافز التشجيعية . كما تم ابرام عدد من الاتفاقيات الدولية في قطاع الصناعة التقليدية ، تشمل اقامة المعارض المشتركة ، والزيارات المتبادلة ، وانشاء معاهد للتدريب واقامة الندوات المتخصصة ، للمحافظة على جودة الانتاج وقيمه الفنية العالية في الاطار الاقليمي والعربي والدولي .

ان الراصد لواقع الصناعات المغربية التقليدية ، يعرف انه ينهل من بحر ليس له قرار ، فهذه البلاد التي حباها الله بالثروات الطبيعية المتنوعة ، هي أرض خصبة لمهارات وفنون من الحرف التي تشمل العديد من مجالات الحياة . والتي تنبىء عن ابداع الانسان العربي المسلم في المغرب ، ومقدار الغنى والتنوع الفني الذي بلغته هذه البلاد ، التي كانت مرآة الحضارة العربية الاسلامية ، وعلمها الزاهي الذي بهر اوروبا ابان القرون الوسطى . ويمكن للزائر العابر ان يخرج باستنتاج عام هو ان جذوة الابداع لا زالت متأصلة في تربة الصناعة المغربية التقليدية ، وان الصانع التقليدي سوف يشق طريقه بدون أدنى شك ، ليثبت كفاءته المهنية والحرفية في مختلف الاسواق العالمية ، خاصة انه يستند على تراث فني عريق له سماته الاسلامية الحضارية الفريدة □

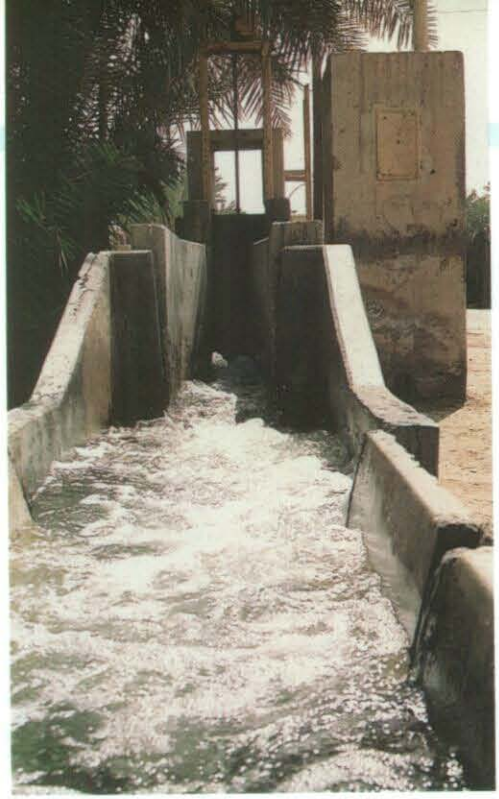

# الفلور

## هَذَا الملوِّث الخفي!

الفلور عنصر شائع إلى حَدّ مَا، إذ يُمثّل حَوَالي ٠,٣٪ كغ من القشرة الأرضيّة. وَهو يُوجد عَلىٰ شكل فلوريد في عَدَد من المعَادن، أكثرها شيوعًا: الفلورسبار، والكريوليت، والفلورابَاتيت. وتستخدم الفلوريدات صناعيًّا في إنتاج الألمنيُوم والأسمدَة الفسفاتيّة والطوب والقرميد والخزف، فضلاً عن استخدامهَا في الصّناعات المعدنيّة. وتضَاف الفلوريدات الآن إلى منتوجَات صيدلانيّة مُعيّنة، من بينهَا معَاجين الأسنان والفيتامينات التكميلية. ونظرًا للنشاط الصّناعي الذي يتضمّن استخدَام الكثير من المواد المحتويَة عَلىٰ الفلور، يشيع تلوّث البيئة بهَذا العنصر عَلىٰ نحو وَاسع.

بقَلم: د. زهَير عَبد الوهَاب - سُورية

ويمكننا ان نصنف مصادر التلوث بالفلوريدات على النحو التالي :

## مياه الشرب

مستويات الفلوريد في ماء الصنبور تشبه الى حد كبير المستويات الموجودة في مياه المصدر ، فيما عدا الاماكن التي تمارس فيها فلورة الامدادات . ويمكن القول بصفة عامة ، ان الامدادات غير المفلورة تحتوي على أقل من ١ مغ فلوريد في اللتر . الا انه ـ رهنا بنمط وموقع المصدر ـ قد تحتوي هذه الامدادات على ما يصل الى ١٠ مغ فلوريد / لتر ، وتعد درجة حرارة الهواء المحيط العامل المقرر لهذا التركيز . ومع تناول لترين من الماء في اليوم ، تتراوح كمية الفلور التي تدخل الجسم ما بين ١,٢ و ٣,٤ مغ فلوريد يوميا ، وذلك في المناطق التي تمارس فيها الفلورة . اما المناطق الاخرى ، فان التعرض اليومي يتراوح ما بين كسر من الميليغرام الى ما قد يصل الى ٢٠ مغ ، وذلك في المناطق الملوثة طبيعيا بهذا العنصر .

## الهواء

تنشأ المركبات الحاوية على الفلور والملوثة للهواء اساسا من الانبعاثات الصناعية ، وتختلف تراكيزها في الهواء ، رهنا بنمط النشاط الصناعي . ويقدر ان التعرض اليومي ، المعادل لاقل من ١ مكغ فلوريد / م٣ من الهواء ، غير ذي شأن بالمقارنة مع الفلوريد المبتلع .

## الطعام

تحتوي معظم المواد الغذائية تقريبا على مكونات من هذا العنصر ، فالنباتات تحتوي على شيء من الفلوريد الممتص من التربة والماء . ويمكن ان تحتوي بعض الاطعمة على كميات عالية من الفلوريد ، لا سيما الأسماك وبعض الخضروات والشاي . وعلى سبيل المثال ، يمكن ان يصل محتوى بعض الاسماك من الفلوريد الى ١٠٠ مغ / كغ ، ويمكن ان يحتوي الشاي على أكثر من ضعف هذا التركيز . واستعمال الماء المفلور في تجهيز الطعام يزيد من مستوى الفلوريد في المواد الغذائية المحضرة . وقد وضعت تقديرات في بعض البلدان المتقدمة فيما يتعلق بكمية الفلوريد في الغذاء اليومي ، وتراوحت هذه التقديرات ، بالنسبة للبالغين ، ما بين ٠,٢ الى ٣,١ مغ فلوريد يوميا . اما بالنسبة للاطفال ، من ١ـ٣ سنوات ، فان المدخول المقدر في الولايات المتحدة الامريكية يبلغ حوالي ٠,٥ مغ فلوريد يوميا .

## التعرّض الصّناعي

من المعروف ان عددا من العمليات الصناعية تطلق مركبات تحتوي على الفلور في الهواء المحيط بمكان العمل ، وهناك أمثلة عديدة على تعرض العمال لهذا الملوث ، لا سيما في مصانع صهر الالمنيوم والزجاج . ويمكن ان يمثل هذا التعرض للفلور في ظروف العمل ( اي التعرض لتراكيز من الفلور تصل الى بضع مليغرامات في المتر المكعب من الهواء ) الاسهام الاكبر في التعرض الكلي . بيد انه مع التحسينات التي ادخلت على ظروف العمل ، وبالاخص في البلدان الصناعية المتطورة ، اصبح هذا المدخل اقل خطورة الى درجة ملحوظة .

ولا توجد سوى معلومات قليلة عن التعرض للفلور من تدخين التبغ ، بيد ان التعرض لا يعد مصدراً مهماً للتلوث بالمقارنة مع سبل التعرض الاخرى .

## سُبُل التعـــرّض الأخرى

يمكن ان تحتوي منتوجات شتى ، مثل معاجين الاسنان ومساحيقها وغسولات الفم ولبان المضغ والفيتامينات التكميلية والادوية ، على كميات مضافة من الفلوريد الذواب ، في شكله اللاعضوي . وتضاف هذه المركبات الى مستحضرات الاسنان بتراكيز تبلغ عادة حوالي ١ غ / كغ . ففي حالة معاجين الاسنان مثلا ، قد تصل الكمية الممتصة من الفلور الى حوالي ٥٠ مكغ لكل غسلة بالفرجون .

وهناك مجموعة من المنتوجات المختلفة الحاوية على الفلوريدات من بينها الاقراص التي تحتوي على فلوريد الصوديوم ، والمستخدمة لمقاومة التسوس ، ويقدم الاستعمال المنظم لهذه الاقراص ما يصل الى حوالي ١ مغ من الفلور يوميا .

## المصـــير البيولوجي للفلور الممتص

يكاد يكون امتصاص الفلور المتناول مع الماء كاملا ، اما الفلوريد الغذائي فان امتصاصه ليس كاملا ، ففي بعض الاغذية ، كالاسماك واللحوم ، لا يمتص سوى ٢٥٪ من محتوى هذه الاطعمة من الفلور .

والفلور الممتص يتوزع بسرعة في أنحاء الجسم ، وهو يحتجز أساسا في الهيكل العظمي ، وثانويا في الاسنان ، ويزداد معدل الاحتجاز حتى سن الـ ٥٥ من العمر ، ثم يقل بعد ذلك . ويتداخل الفلوريد مع استقلاب السكريات والشحميات والبروتينات والفيتامينات والانزيمات والمعادن ، معرقلا بذلك حسن ادائها ، والكثير من أعراض التسمم الحاد بالفلوريد هو نتيجة تأثيرات الرابطة للكالسيوم . ويفرغ الفلور أساسا في البول ، ويتأثر هذا الافراغ بعدد من العوامل ، من بينها الصحة العامة للمتعرض ، وتاريخه السابق للتعرض ، ويمكن عمليا اعتبار معظم البالغين المعرضين في حالة توازن . وتحت هذه الحالة الثابتة ، ينعزل الفلوريد الموجود في الجسم في الانسجة المتكلسة ، ويوجد معظم الباقي في البلازما ، ومن ثم يكون متاحا للافراز . ويمثل الانعزال الهيكلي والافراغ الكلوي طريقين أساسيين يمنع بهما الجسم تراكم كميات سامة من أيونات الفلوريد .

## فـــوائـــد ومَضـــار

اتضح ان الفلور عنصر ضروري لبعض أنواع الحيوانات ، وبصفة خاصة يتحسن معدلا الخصوبة والنمو عند هذه الحيوانات إذا أعطيت جرعات صغيرة نسبيا من الفلور .

وحينما يندمج الفلوريد في الأسنان فانه يخفض ذوبان الميناء في الظروف الحمضية ، ومن ثم يهيء حماية ضد تسوس الأسنان . وهناك دليل يبين ان وجود الفلوريد في الماء ينتج عنه انخفاض ملحوظ عند الاطفال ، حين يرتفع مستوى الفلور الى ١,٥ ـ ٢,٠ مغ / لتر .

وقد لوحظ التسمم الهيكلي بالفلور عند بعض الناس حين يحتوي الماء على اكثر من ٦ مغ / لتر ، رهنا بالمدخول الفلوري من مصادر اخرى ، وقد نجم عن مدخولات تبلغ ٢٠ ـ ٤٠ مغ فلوريد في اليوم ، وعلى مدى فترات طويلة ، تسمم هيكلي مقعد بالفلور . ومن المسلم به ان ١ مغ / لتر يعتبر مستوى مأمونا بالنسبة لتركيز الفلور في مياه الشرب ، وحدود التحكم الموصى بها عالميا تدور حول هذا الرقم .

والفلوريد ، في الجرعات العالية ، شديد السمية للانسان ، وتشمل التغيرات المرضية :

الالتهاب المعدي والمعوي النزفي ، والتهاب الكلى السام ، وشتى درجات إصابة الكبد وعضل القلب . وتبلغ الجرعة المميتة الحادة حوالي ٥ غ على شكل فلوريد الصوديوم ، اي حوالي ٢ غ فلوريد . وقد امكن ملاحظة ضروب من الاعراض الوخيمة في الحيوانات نتيجة للتعرض البيئي للفلور في مناطق شديدة التلوث به . اما التأثيرات المزمنة والتالية للتعرض المديد للفلور فيمكن حصرها بتبقع الاسنان والتسمم المزمن . وفي الحالة الأخيرة ، تتأثر بنية العظام الى درجة مزعجة جدا منتجة عجزا وخيما . وهناك مشكلات صحية مزمنة أقل شيوعا ، من بينها ، تأثيرات على الغدة الدرقية والجهاز الكلوي .

ومن النظريات المطروحة اليوم ان ( المغولية ) والسرطان يقترنان بالمستويات العالية من الفلور في الماء . وقد انبثقت فكرة ان المغولية يمكن ان ترتبط بالتعرض العالي للفلوريد من دراسة واحدة محدودة النطاق ،بيد ان هذه الدراسة قد قوبلت بانتقاد عنيف من قبل الكلية الملكية للأطباء في بريطانيا . وخلال السنوات الأخيرة أجريت دراسات وبائية عديدة لتعيين ما إذا كانت هناك رابطة بين السرطان والتعرض العالي للفلور ، وقد أمكن الحصول على بعض القرائن الايجابية ، بيد ان القرائن قوبلت بالنقد أيضا ، وحتى الآن لم يتوصل الى قرار علمي جازم بشأن اعتبار الفلور في تراكيزه العالية ، عاملا مسرطنا . ورغم ذلك ، فقد قررت معظم الهيئات المعنية بصحة البيئة ، إدراج هذا الملوث في قائمة العوامل التي تحمل إمكانية إحداث السرطان .

وتجدر الاشارة ، ان مسألة الحساسية للفلوريد والتي اثارتها بعض الهيئات الطبية مؤخرا ، لم تلق سندا علميا كافيا ، فعلى سبيل المثال ، لم تسجل حساسية خاصة لدى الملايين الشاربين للشاي الذي يتناولون كمية كبيرة من الفلوريد من نقيع أوراق الشاي . بيد أنه لا يمكن رفض إمكانية وجود حساسية أو نوع من تفاعل ( التحسس الذاتي ) رفضاً باتاً . وقد تم استعراض الاقتراحات القائلة بأن الفلوريد عامل له صلة بالعيوب الولادية ، استعراضاً فاحصاً ، ولم يظهر بعد ما يؤكد صحة هذه الاقتراحات او عدمها .

## توصـــية

وهكذا يتضح ان الفلور سلاح ذو حدين : فهو من جهة ضروري لبناء الأسنان والعظام بناء سليما ، ولكنه من جهة أخرى ملوث وسام وربما مسرطن أيضاً ، فيما إذا تجاوزت تراكيزه العتبات الحرجة الموصى بها عالميا . ومن الملفت للنظر أنه في سياق الحملات الموجهة لمكافحة التلوث في المنطقة العربية عامة ، والخليج خاصة ، لم تسلط الاضواء إلا على الملوثات الكبيرة ، في حين أن هناك مجموعة كبيرة من المواد والعناصر الملوثة ، ومن ضمنها الفلور ، لم تلق الاهتمام اللازم حتى الآن . وأملنا كبير في أن تتجه أنظار المعنيين بصحة البيئة الى مثل هذه الملوثات ، وأن تحظى بالبحث والدراسة ، قبل أن تفعل فعلها في تلويث بيئتنا وهدم صحة مواطنينا .

## المراجـــع


1. Fluorides and human health. Geneva, World health organization, 1970 (monograph series no. 59).
2. Fluorides. Washington, DC, National Academy of Sciences, 1971.
3. International Standards for drinking water. Geneva, World health organization, 1971.
4. Unerwood, E. J. Trale elements in human and animal nutrition. New York, Academic press, 1977.
5. National Research Council. Drinking water and health, Washington, DC, National Academy of Sciences, 1977.

# تقاسيم على زوارق الأيام

بقلم: د. عبد الرزاق حسين / الأحساء

صدر حديثاً ديوان « تقاسيم على زوارق الأيام » للشاعر السعودي يوسف عبداللطيف أبو سعد ، عن النادي الأدبي في المنطقة الشرقية .

والشاعر معروف على الرغم من تواضعه الجم ، وعدم الميل الى حب الظهور .

ويبدو لي من خلال قراءاتي لدواوين الشاعر الأربعة التي صدرت تباعاً منذ عام ١٣٨٧هـ وحتى ديوانه الأخير الذي نعرضه الآن ، ان هذا الشاعر قد غمط حقه ، فزخم عطائه ، ومكانته الفنية تضعانه مع أوائل الشعراء في المملكة العربية السعودية .

وما دامت الرحلة مع ديوانه الجديد فلنتابعها مع تقاسيمه لنتعرف الى هذه الألحان التي صاغتها نفس شفافة متألمة ، ما زالت تعاني من بقايا الرومانسية .

تبحر أغنيات أبي سعد ومواويله على زوارق الأيام تصاحبها التقاسيم والألحان ، فيعبر بنا ميناءه الصغير ، وعشه الهادىء الهانىء الوديع مع هذه النغمات :

**في عشي المجدول من ودي**
**أحيا مع الأحباب في سعدِ**
**أختال في أرجائه شادياً**
**كأنني حزت الدنا وحدي**

وفي هذا العش تغني عصافير المنى ، وتخفق الوية السعادة ، وتتضوع حدائق الالهام بالشذى ، وتسري في كيانه نشوة وبهجة ، فيطلب من عذارى الشعر مقاسمته فرحه وحبه أو الانابة عنه في التقسيم والتنغيم :

**فيا عذارى الشعر هيا اصدحي**
**واطفئي الموار من وجدي**
**ونغمي للحب أغرودة**
**أوزانها من جوهر فردِ**

وتتهادى زوارقه ، فيغني عشقه الدائم الاحساء ، ولأول مرة تكون بطاقة الحب في شكل عتاب ، فالاحساء تعاتب صداحها ، فيذكرها بحبه القديم الجديد الذي لا يني ولا يفتر ، واذا بدا لها شيء من ذلك ، فما هي الا شواغل الأيام غطت تقاسيمها على ترانيم حب واحته ، وفي تبريره واعتذاره حركة حافلة بالحيوية :

**امحضتك الود لا ألوي على بلد**
**وحبك المحض ملء السمع والبصرِ**
**أبعد هذا المدى والحب مؤتلق**
**أنساك يا واحتي يا جنة العمرِ ؟**
**أما ترين أحاسيسي مسافرة**
**في بحر عينيك في الأحداق والحورِ**
**وكل نبضة شريان تفيض هوىً**
**بدفقة العطر من أبرادك الغررِ**

وأخيراً يدفع كل ما عنده ثمناً لهذا الحب وتأكيداً على صدق نبضه :

**خذي فؤادي ، خذي نبضي وأوردتي**
**وليبق لي نظري في وجهك النضرِ**

وتتوقف زوارقه على شواطىء الوطن ، فيغرس نخل حبه في شغاف قلبه ، لتتدلى هذه القصائد قناديل عشق ، فهو في قصائده : « من وحي أسبوع الشجرة ، والحب ايمان ، وفي موكب النور ، وسطور على جبين الوطن » يأكد على النهج الرشيد الذي يمثله وطنه ، وتمثله قيادات هذا الوطن في سلامة منهجها ، وتمسكها بعقيدتها ، ثم يذكر بهذا العطاء الجم الذي يهديه الوطن لأبنائه ، وهو قبل ذلك وبعده يدعو الجميع لحبه ، والتفاني في المحافظة عليه .

وهو يرى أن زورق الشعر يبحر نحو ميناء الوطن بقوة حبه :

**يا شعر مالي اذا ما قلت قافية**
**أرى فؤادي منساباً الى وطني**

وهو مهد السنا ، وروضة المجد ، ليس له ند بين الأوطان :

**مهد السنا أم روضة المجد**
**أم موطن ما قيس بالندِ ؟**

ولو خير ما اختار غيره ، وقد كان في اختياره لبقاً ، ولم يقع في المحظور كما وقع بعض من سبقه ، فهو يقول :

**لو خيرت عيناي في موطن**
**لكان أسمى موطناً عندي**

ويرتفع صوته على أنغام التقاسيم ليغني لانتفاضة الشعب الفلسطيني في ايقاعين مفعمين بالشجى ، ومن خلال هذه القصائد يأكد على المعاناة التي يلاقيها هذا الشعب في صموده ضد أشرس الهجمات ، ثم يصف لنا الشهيد وتلك الصرخة المدوية التي ما زالت ترن في الأسماع :

**( الله أكبر ) صرخة من مهجة**
**ذكرت حمى الأقصى وظِل قبابه**
**كم هزها منه الأذان فأخبتت**
**غسق الدجى وتهجدت برحابه**

ويمتلىء اعجاباً بأطفال الحجارة الذين ملكوا عليه قلبه وحواسه ، فيقابل بين حجارتهم المتيقظة وطلقات الجيوش النائمة :

**حجر قام حين نام عيار**
**غسل العار عن معد ووائلِ**
**حجر ثار فاستحال سلاحاً**
**تتهاوى على يديه المعاقلِ**

ثم يبشر بالنصر الذي يرى بيارقه ترف أمام ناظريه :

**رفرفي يا بيارق النصر جذلى**
**واعزفي نغمة الفدا يا بلابلِ**

وأخيراً يلقي مرساته ، ويزرع ترانيمه على شاطىء النفس ، فيغني ذاته في قصائد المجموعتين الأخيرتين : ( مواويل على شفاه الصمت ) وتضم ست قصائد ، و ( شموع في العتمة ) وتضم تسع قصائد . وتبقى قصيدتان تتحدثان عن أحداث الخليج وهما : ( نور ونيران ) و ( قراءة في وجه الأحداث ) .

والمسافر في هذه الرحلة في زورق الشاعر أبي سعد وبصحبته يحس بمذاق خاص وجو خاص يعبقان بالود والهدوء والوداعة والطيبة ، فهذه الرحلة تشعرك بالانطلاق والرحابة ، وتمتعك بالأناقة واللباقة شكلا ومضموناً .

ولعلي ألفت النظر الى طاقات الورد التي نثرها قائد الزورق أمام مسافريه ، منها قوله :

**غنت عصافير المنى غنوة**
**هيمانة مشبوبة الوقدِ**

**عصفورة تحنو على أختها**
**تجذبها ثغرا الى خدِ**

ما أجمل عصافير المنى وهي تداعب بعضها بمناقيرها . ويجعل من القلب متكأ في قوله :

**جعلت قلبي لهذا العشق متكأ**
**فباكري فيئه يا عذبة الصورِ**

ويجدل الوطن من المهج العاشقة ، وهو تصوير طريف في قوله :

**« أم أنك الأمل المجدول من مهج »**

ولكن التوفيق لم يحالفه في عجز البيت ، فلو أكمل الصورة في العجز لكان هذا البيت من المطرب المرقص ، ولكنه تراخى فجاء العجز تقريرياً باهتاً ، حيث يقول :

**« عن غير حب سبيل الحق لم تبن »**

ومن جميل صوره ، تصويره طفل الحجارة بالشراع :

**والأماني أزفها عبر بحر**
**أنت فيه الشراع والقدس ساحلْ**

ثم تلك النجوم التي تسير حاملة الشموع ، في قوله :

**كلما عتمة الدياجي احتوتني**
**اشعلت لي كواكب الحب شمعهْ**

هذه بعض أزاهير التقطتها من زوارقه ، والمنثور كثير .

واذا كانت هذه اللقطات المسافرة عبر هذه الرحلة تعبر عن الرضا ، فان بعض العقبات قد صادفت رحلتنا هذه ، منها الأخطاء المطبعية ، وعلى الرغم من أن الشاعر قد صوب الأخطاء ووضع ذلك في قائمة في مقدمة الديوان ، إلا أن قلمه سها عن أخطاء أخرى .

كما أنك تحس في هذا الديوان وفي دواوين الشاعر السابقة انه ما يزال يمثل دور المربي والمعلم والإداري ، فهذه الأوامر والنواهي الكثيرة التي يوجهها الى قراء شعره وجمهوره تحمله من عالم الشعر الى عالم الادارة في التعليم والتربية ، ولا أريد أن أستقصي هذه الظاهرة فهي بارزة ، ولها مكانها الخاص في دراسة عن أسلوب الشاعر ، ولكن لا بأس من ايراد مثال على ذلك ، والتنبيه الى المواضع ، ولنقرأ قوله من قصيدته في وحي أسبوع الشجرة :

**فهبوها بعض حق واجب**
**وازرعوها في وئام واتحادِ**
**واخلعوا الزهر على عقيانها**
**وامنحوها منكمو أوفى الأيادي**
**ألبسوها ثوب عرس زاهياً**
**وانزعوا عنها جلابيب الحدادِ**
**واحرثوها وابذروها واكدحوا**
**تحمدوا العقبى لدى وقت الحصادِ**

الى آخر هذه الأوامر ، وهناك الكثير منها ومن النواهي ، انظر في ذلك : صفحة ( ٦٠ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٨٦ ، ٨٨ .. الخ ) .

ومن تلك العقبات أصالة مدة الرحلة ، فهناك بعض القصائد التي تصل الى أكثر من مائة بيت كما في قصيدة ( اشعلوها ) .

ولا يعني هذا أن الأصالة تفسد المتعة دائماً ، ولكنها أحياناً تصيب بالملل ، فشوق الوصول والوصال يبقى أقوى أثراً من تلك الأصالة التي تسير في طرق مكررة ، فهناك وبخاصة في القصائد الطويلة معان مكررة تقرر حقائق لا تحتاج لفضل بيان ، كقوله :

**أمم تجني وأخرى قبلها**
**زرعت أشجارها من قبل عادِ**
**وعليها الزرع من بعد الجنى**
**وتوليه بسقي وسمادِ**
**هكذا نحيا وتلكم حكمة**
**في جميع الخلق من رب العبادِ**
**زمر تمضي وتأتي زمر**
**وطريف جاء في اثر تلادِ**

وفي مثل قوله :

**حجر قال لا هوادة عندي**
**والأحاديث ما بها أي طائلْ**

ثم يقول :

**سكت القوم والحجارة هبت**
**حجراً قاصفاً وآخر قاتلْ**

ثم يكرر المعنى مرة ثالثة :

**سكت القوم والحجارة لبت**
**داعي الحق واشرأبت تقاتلْ**

ويكرر :

**فاشرأبت أعناقها لكفاح**
**وامتطت للجهاد ثورة باسلْ**

نهاية الرحلة والمحطة الأخيرة تكشف لنا عن شاعر حاذق استطاع من خلال اتزانه وهدوء نفسه أن يضفي وشاحاً فنياً تناسب مع العناصر الصياغية الأخرى ، فجاءت قصائده سليمة الاتجاه ، صادقة التجربة ، واضحة الموضوع ، تنبثق منها ايقاعات لا تشوبها التشويشات □

# اشبـــــاه العلمـــــاء

بقلم: د. غازي مختار طليمات / دبي

في النصف الثاني من القرن العشرين نهض التعليم في وطننا العربي نهضة واسعة ، شملت مراحله كلها من بداية التعليم الابتدائي الى نهاية التعليم العالي ، وأقبل ابناؤنا على التزود من العلم والمعرفة . ولم تكن الحكومات أقل من الأمة رغبة في تشجيع التعليم ، فشيّدت المدارس في المدن والقرى ، ثم أنشأت المعاهد والجامعات في الحواضر . لكن سياسة التعليم العالي اختلفت من قطر الى قطر ؛ إذ قصر بعض الاقطار التعليم الجامعي على خيار الطلاب ، فانتقى الاكفاء من حملة الشهادة الثانوية ، وشق امام الآخرين سبلا أخرى تفضي بهم الى ميادين الحياة العملية . وفتح بعض الاقطار أبواب الجامعات على مصاريعها لاستيعاب جميع الطلاب ، فاحتشد فيها القادر والعاجز ، حتى غدا المحتشدون فيها عبئاً عليها ، ونجم من حل المشكلة القديمة انعقاد مشكلة جديدة .

وخلاصة المشكلة الجديدة أن الصفوة من الخريجين استطاعت بمواهبها أن تشق سبل التحصيل العالي ، فكان منها استاذ الجامعة ، والخبير في العلم التطبيقي ، والطبيب المتخصص بجارحة من جوارح الجسد . ثم اختارت دواوين الدولة والشركات الخاصة ثلة من الخريجين ، تنهض بأعمالها ، وانتبذت البقية الباقية ، فتحولت الى طبقة جديدة ، تصنفها اجازاتها في المثقفين ، وتصنفها بطالتها في العجزة . لقد لفظتها أبواب الجامعات ، وكل حظها من الحياة جزازات تشهد لها بالعلم ، ولا تشق لها الطرق الى العمل ، وتتيح لها أن تنتمي الى الخريجين ، ولا تتيح لها متابعة التحصيل العالي ، لأن للتحصيل العالي في الجامعات العريقة المرموقة شروطا صعبة ، لا يمتلكها عادة الا المجلي في حلبة السباق ، والمجلون قلة في كل مضمار . وحينما تقطعت اسباب التحصيل بهؤلاء قادهم اليأس من الجامعات المتشددة الى جامعات متسامحة في بلاد أخرى ، يلتمسون فيها ما أعياهم الظفر به في بلادهم ، فوجدوا فيها سبلا ذللا بلا عثار ، فسلكوها ، ومؤهلات عليا بلا شروط ، فاعتلقوها ، وعادوا الى بلادهم ، وبين أيديهم شهادات تبحث

عن منابر الجامعات ، وأتعاب تشهد لهم بأنهم علماء أو أدباء .

وقبل أن نحكم لهذه الالقاب أو عليها نتساءل : اذا كان التعليم الابتدائي حقاً لكل انسان ؛ فهل التعليم الجامعي حق لكل حملة الثانوية ؟ واذا كان التعليم الجامعي متاحاً لحملة الثانوية كلهم فهل الدكتوراه حق لحملة الاجازة كلهم ؟

أن الاجابة بنعم عن السؤالين المطروحين هي التي صنعت قبل المشكلة القديمة ، وهي التي توشك الآن أن تصنع المشكلة الجديدة . ولايجاد حل ناجع يحسن أن يكون الجواب بغير الايجاب ، لا مناصرة للجهل على العلم ، ولا منافرة للمطامح الشريفة المتوثبة في صدور الشباب ، بل قمعا للارتجال المفضي بنا وبأبنائنا الى التخبط ، والتزاما للأناة في درس هذه القضية الخطيرة ، لعلنا نقف على أسبابها قبل أن نحكم على نتائجها ، فيكون الوقوف على حافة السبب عاصما لنا من الانزلاق الى المهواة المخوفة .

لقد قرر علماء النفس بعد درس وتجريب ، ان حظوظ البشر من الذكاء في كل عصر وفي كل مصر موزعة توزيعا واحدا ، يتساوى فيه العرب والاجانب ، ويلتقي عنده ابناء الزمن الحاضر بأبناء الزمن الغابر ، وان الذكاء مقسوم على كل مجموعة من البشر قسمة واحدة ، يمثلها خط بياني على هيئة جرس مقلوب . فالعباقرة ـ وهم قلة في كل امة ـ يقعون تحت الظل الضيق من حافة الجرس اليمنى ، والأغبياء ـ وهم قلة أيضاً ـ تحت حافة الجرس اليسرى ، واما قبة الجرس الواسعة الشامخة فانها تمتد رواقا شاسعا ، يستظل به من أوتوا حظوظا متوسطة من الذكاء ، وهم الكثرة الكاثرة ، والسواد الأعظم من الخلق في أمم الأرض كافة . ثم تبين لعلماء النفس بعد التمحيص والتدقيق أن ذوي الحظوظ اليسيرة من الذكاء لا يستطيعون ، مهما بذلوا من جهد ، أن يجاوزوا المرحلة الابتدائية من مراحل التعليم ، وان الكثرة المحتشدة تحت قبة الجرس تستطيع في غير عنت أن تجوز المرحلة الثانوية ، وان الصفوة المصطفاة ـ وعدتها عُشر البشر ـ تستطيع أن ترقى الى الجامعة ، وتستطيع أن تتمثل ما في مناهجها من علوم وآداب وفنون . أما صفوة الصفوة ـ وعدتها عُشر العُشر أو دونه ـ فهي قادرة على تمثل المناهج الجامعية ، ثم الارتقاء من أفق الاكتساب الى أفق الابداع . ومن هذه الفئة يظهر كبار المخترعين والادباء والعلماء والفلاسفة والقادة .

اذا صدقنا ما أفضت إليه هذه الدراسة ، واردنا أن نهتدي بهدي منها وجب علينا أن نفتح أبواب المدارس الابتدائية لأطفالنا جميعاً ، وأن نضع بين المدرستين الابتدائية والاعدادية غرابيل واسعة الثقوب ، لا يمر من عيونها الا القادرون على بلوغ المرحلة الثانوية ، وبين المرحلتين الثانوية والجامعية مناخل دقيقة الثقوب ، لا يمر من عيونها الا الذين هيأتهم الفطرة للتمرس بالمقررات الجامعية واستيعابها على بصيرة ويقظة ، وبين الجامعة والدراسات العليا نضع مقاطف ، ضاقت عيونها الخزر ، حتى لم يبق منها الا آفاق محكمة الاغلاق ، لا يتسرب منها إلا لباب اللباب من ذوي الألباب ، وهم عُشر العُشر ممن آتاهم الله القدرة على الابداع والاختراع .

وليس فيما تقوم به الغرابيل والمناخل والمقاطف من اصطفاء اهانة لأحد ، وانما فيه اداء للأمانة ، وصدع بأمر الله ، ووضع لكل مخلوق في الموضع الذي خلق له . ان اهانة الانسان القاتلة أن تحمله ما لا يطيق ، فان عثر لم تقله ، بل نهضت بالحمل دونه ، أو كلفت بالصنع من يحسنه . ولعل الخطأ الذي نصر على التعلق به هو اننا نقسم الأعمال تقسيما معياريا ، فنشرف عملا ، ونحقر عملا ، ونستمد التشريف والتحقير من درجات الامتحانات في المدارس والجامعات . ونحن لا ننكر ما في هذا المعيار من اجلال للعلم وأهله ، لكن للقضية وجها آخر ، فرب عمل تقتحمه عيناك كان أكثر فائدة لصاحبه وللأمة من الطب والهندسة . ان شرف العمل لا ينجم من طبيعته بل من شرف القائم به . والأعمال كلها شريفة ما التزم اصحابها تقوى الله ، واحتكموا في انجازها لمحكمة الضمير . فاذا انحرفوا هانوا ، وهانت أعمالهم على الناس ، ولو كانوا علماء يفجرون الذرة الخيرة فتتحول بين أيديهم الشريرة الى دمار ماحق ، أو اساتذة جهابذة يتسنمون المنابر ، ليفسدوا

الضمائر بمحاضرات لا يراد بها وجه الحق .

غير ان تعلق الناس بمظاهر الأشياء يصرفهم عن جوهرها ، فيحرصون على أن يمتلكوا بريق المجد اذا لم يمتلكوا حقيقته ، فيجزئهم من العلم الاسم ، ومن الأدب اللقب . لقد نسخ عصر العلم الحديث الالقاب القديمة ، فاستخف الناس بكلمات كان لصداها وقع أي وقع كالباشا والبيك والاغا ، وحرصوا على أن يعلقوا على جدرانهم رقاعاً جديدة توافق طبيعة العصر ، وأرقى هذه الرقاع الدكتوراه . وحينما أدرك سماسرة العلم في الدول الأجنبية سحر الكلمة في نفوسنا ، ورواجها في أسواقنا بنوا لصنع هذه الرقاع مصانع جديدة ، سموها بأسماء تشبه أسماء الجامعات ، تصدر أوراقا أنيقة ممهورة بالاختام والتوقيعات ، موسومة بدرجات تشرف من يحملها ، فبعضها جيد جدا ، وبعضها ممتاز ، وبعضها يرقى الى مرتبة الشرف الأولى . فتهافت على شرائها طلاب المناصب ، وعادوا بها الى دولهم التي انتبذتهم جامعاتها ، يطالبونها بأن توليهم صدور المجالس في المجامع والجامعات ، وهم يعتقدون انهم على حق فيما يدعون ، وحسبهم علوا وسموا على اساتذتهم ان ألقابهم أجنبية وألقاب أساتذتهم عربية ، وبضاعة الاجانب فوق بضاعة العرب .

ولو اقتصر الضرر عليهم لهان الخطب ، ولكنه ينتقل منهم الى الخريجين ، فتفشو فاشيته في الدواوين والمصانع ، لتفسد الصناعة والطب والتجارة ، ولنبقى تكأة على الأجانب ، لا نسير على اقدامنا خطوة واحدة بغير عصيهم والعكاكيز . وقد يعود الينا اشباه العلماء بأفانين من علوم الأجانب ، لا تدرس في جامعاتنا ، فيقحمونها في المناهج ، ويفرضونها على العقول ، فاذا الدخيل التافه يزحم الاصيل القيم . فان عارضتَ اتهمت بالتخلف والغباء ، وان داهنتَ وصَمكَ ضميركَ بالنفاق ، وحكمتْ عليك امتك بالخيانة ، وآلمك غاية الايلام ان تسمع الخريجين يمضغون تعريفات تشومسكي ، وهم يجهلون خصائص ابن جني .

ومن العجب العجاب أن تجد بين هؤلاء من ردته أحدى الجامعات العربية طالبا ثم استقبلته بعد عامين أو ثلاثة مدرسا . وأعجب منه أن تجد من ردته أحدى كليات الشريعة أو الاداب قد انتجع الفقه أو الفصحى في غير منتجعهما ، وعاد بالدكتوراه في الشريعة الاسلامية من جامعة تعادي الاسلام ، أو في اللغة العربية من معهد بني ليحارب الفصحى ، ويدعو الى العامية ، فتفتح له الأبواب ، وتوطأ له الاكناف ، ويولى ريادة البحث ، ويتخرج به طلاب الدراسات العليا . يجري ذلك كله في عامين أو ثلاثة وزملاؤه المتفوقون ما يزالون يتقلبون بين أيدي الممتحنين ، ويجمعون مواد بحوثهم من كهوف المكتبات القديمة ليعدوا رسائل الماجستير .

كانت ظاهرة التهافت على ألقاب العلم في دوافعها النبيلة ، ليست مثلبة تدعو الى التجريح ، وانما هي محمدة تستوجب التنويه ، واقرار بفضل العلم وذويه ، لكن منح الالقاب من لا يستحقونها زراية بالعلم ، وأعطاءها من لا يدفعون ثمنها شباب أعمارهم وأشعة أبصارهم ، ضرب من التزوير ، ومثلبة منكرة تجترحها ايد مشبوهة ، وتلقي أوزارها على جامعاتنا . فان لم يكن بد من هذا التبني فلتوسم الالقاب الجديدة بسمة تميزها عن غيرها ، وليقص حملتها عن كراسي الجامعات . أما أن نزن المختلفات بميزان واحد فهذا هو الاجحاف الذي ندعو الى التبرؤ منه .

واذا كنا عاجزين عن ضبط المسارب التي تتسرب منها البضاعة المبهرجة في زحمة العرض المعروضة في السوق السوداء فلسنا عاجزين عن ضبط البضاعة نفسها ، وأول الضوابط أن ينظر القائمون بأمر التعليم العالي في اثناء معادلة اللقب الدخيل باللقب الأصيل الى ماضي حامل اللقب قبل حاضره ، وافصح ترجمان لهذا الماضي الأرقام ، فان كانت درجاته في شهادتي الثانوية والاجازة تخوله ان يبلغ ما بلغ ارتفع في سلم التعادل درجة . والضابط الثاني مدة الدراسة في الدولة الاجنبية ، فان كان حامل اللقب ممن قفز فوق حواجز الزمن ، واخترق جدار المراحل بالوثب الطافر ، لا بالخطوات المتئدة الواثقة حكم عليه بأنه أثمر قبل أن يزهر ، وبأن ثمره الجليب مصنوع من

الشمع ، وطلب اليه ان يهبط درجة . وثالث الضوابط ـ وهو أدقها وأحقها بأن يميز الطيب من الخبيث ـ امتحان علمه الذي يزعم انه متضلع منه ، واحسن الامتحانات ما كانت تفعله قبل ألفي سنة واحدة من دول الشرق الأقصى . روى ( ول ديورانت ) في « قصة الحضارة » ان هذه الدولة كانت تمتحن طالب الوظيفة الرسمية امتحانا واحدا ، تعطيه أقلاما وأوراقا ، وتدخله قاعة مغلقة لا يدخلها سواه ، فيها أسفار كبار ، ومراجع جوامع ، وتستكتبه بحثا واحدا في يوم كامل ، فان حلق وظف ، وان اسف صرف وعنف . غير ان هذا الضابط ـ على دقته ـ عرضة لشفاعة الشفعاء في زماننا فوق الضوابط والموازين .

ورابع الضوابط تفقه المرشح في منهج البحث ، وقدرته على العرض والتحليل ، وسوق الادلة المؤيدة ، واستنباط القواعد الكلية من الاشباه والنظائر، وادل دليل على مقدرته تلك رسالتاه في الماجستير والدكتوراه ، وكلتاهما ـ وطبيعة العصر غلابة ـ قد تساورها الشبهات ، ويعرض لها التزوير . فما أكثر الرسائل الظنينة والهجينة التي تنمى الى غير آبائها وما أكثر الذين أجيزوا ببحوث لم يكتبوا سطرا منها ، ولم يقفوا على مصدر واحد من مصادرها !! ومما ساعد على شيوع هذا النمط من التزييف رواج التجارة بالشهادات ، فالى جانب كل عكاظ للعلم أو مربد ، سوق سوداء تفشى فيهما الاحتيال على العقول ، والانقياد للحاجة ، اذ ينصاع الاذكياء لأغواء الأثرياء ، فيؤلف قوم ، ثم يعزى شرف العلم الى الغني الغبي ، ويقنع الكاتب المجهول من الصفقة بالثمن الربيح على نحو جديد من النخاسة العلمية ، والاتجار بالأدمغة .

كان فريق من أغفال الكتاب ـ وقصدهم رواج الكتب لا الأسماء ـ يعزون ما يكتبون الى الأعلام المشاهير ليتقبل القراء ما يقرؤون بقبول حسن ، وهكذا يربح الكاتب القارىء ، ويخسر الشهرة . واليوم انقلب الأمر الى الضد ، فصار اسم الكاتب اهم من علم الكتاب ، وصار طبع الاسم مسبوقا بحرف الدال على ترائب الكتب واعقابها ذؤابة الشرف التي يطمح اليها الطامحون ، وسواء عليهم أعرّض بهم الناقد ام صرح ، فقد جمد ماء الحياء في بعض الوجوه ، واضبت قوارص النقد في الجنوب دغدغة أو ملاعبة محببة ، فلا يزداد أصحابها إلا إعجاباً بما اخترعوا من شراك الكيد ، وادلالا بما ابتدعوا من شباك الصيد ، وحسبهم مكرا ان يمضغ الناس ليبلعوا ويمتاح السقاة ليشربوا ، فلا يصيبهم غصص ولا شرق .

لقد جهل هؤلاء المضطجعون على ارائك الراحة ، وهم يرون اسماءهم تشرق على أسفار العلم السليب لذة المعاناة في سبيل الكشف عن الحقائق ، ومتعة التنقيب عن البراهين والأدلة ، وحرموا أنفسهم لحظات الفجر التي تسبق انبلاج النور في العقل . ووقفوا على شاطىء العلم ينتظرون الغواصين ، ليشتروا منهم آلاف الأصداف ، وينزعوا ما في شفاهها من لآلىء تغمرهم بألق المعرفة والشهرة . ثم بايعوا أنفسهم بامارة العلم ، أو بايعهم بهذه الامارة تجار الادمغة والمنتفعون ، كأنهم لم يسمعوا قول مصطفى صادق الرافعي : « ينبغي ان تكون هذه الامارة أعمالا نافعة قد كبرت وعظمت ، فاستحقت هذا اللقب ، بطبيعة فيها كطبيعة ان العشرة أكثر من الواحد » .

والى ان تصبح امارة العلم أعمالا نافعة لا ألقابا لامعة ، ينهض بتبعاتها العلماء العاملون ، لا اشباه العلماء المفتونون بالشهرة ، ستظل جامعاتنا تستقبل رقاعا بلا إبداع ، وأشباه علماء بلا علم ، وستغدو ـ لا قدّر الله ـ مطابع للشهادات ، لا مراكز للاشعاع الفكري ، ومعرضا للباحثين عن المناصب ، لا موئلا للمنقبين عن الحقائق ، وسبحان الذي اجمل ما فصلنا في كتابه المعجز ببضع كلمات مشرقات ، هن قوله : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ □

# فرضية الموالفة في اكتساب اللغة

بقلم: د. محمد زياد كبة جامعة الملك سعود / الرياض

يتمتع الانسان بقدرات عقلية لا حدود لها جعلته أرقى أنواع المخلوقات على وجه البسيطة دون منازع. فبفضل تلك القدرات استطاع الانسان ان يكسب معركة البقاء منذ بداية الخليقة حتى اليوم، فأسس حضارات زاهرة وحقق انجازات عظيمة عجزت عنها الكائنات الحية الاخرى فانقرضت رغم كبر حجمها وعظم قوتها. ولعل اللغة أهم صفة عقلية يتميز بها الانسان عن بقية المخلوقات، فهي ميزة ينفرد بها عن عالم الحيوان بأسره. ومهما كانت اساليب التواصل متقدمة في عالم الحيوان فانها لا ترقى الى مرتبة « اللغة » كما نعرفها نحن بني البشر. فلا تغريد الطيور ولا رقص النحل على سبيل المثال يمكن ان يعد « لغة » بأية حال من الأحوال، لأن اساليب التواصل هذه، على عكس اللغات الانسانية، لا تعدو كونها أنماطا من السلوك الضروري للبقاء على قيد الحياة.

أما اللغة الانسانية فهي عالم غامض قائم بذاته، ليس من السهل أبدا سبر أغوار أو ادراك أسراره. ومن المتعذر على أي لغوي مهما أوتى من العلم أن يحيط باللغة من جميع جوانبها، أو ان يدعي أن بامكانه تفسيرها تفسيرا كاملا. فاللغة ليست مجرد نمط غامض من أنماط السلوك الانساني فحسب، بل هي جزء لا يتجزأ من الانسان نفسه. انها الشكل « المنطوق » الذي يعبر عن أحاسيسه ومشاعره وتفكيره ومعتقداته. فغموضها جزء من غموضه وتفسيرها يسهم في تفسيره.

ومن الجوانب المدهشة في اللغة أيضا قدرتها الغريبة على التعامل مع الاشياء المجردة غير المحسوسة. وأقصد هنا التعامل مع مفاهيم هي من صنع « العقل » البشري دون أن تكون تلك المفاهيم مرئية أو مسموعة أو ملموسة. فاللغة تعبر عن « الاخلاص والشرف والخيانة والحزن والفرح ... » الى آخر تلك المفاهيم التي لا تدركها الحواس الخمس. لكنها مع ذلك لا تستعصي على اللغة، فالانسان قادر على التعبير عنها لغويا بسهولة ويسر، وكأنه يتحدث عن أجسام يراها أو أصوات يسمعها.

ويخطئ من يعتقد أن اللغة مجرد سلسلة من الأصوات نطلقها في الهواء فيسمعها السامع ويفهم مغزاها. انها أشدّ تعقيدا من ذلك بكثير. فسلسلة الأصوات ما هي الا القشرة الخارجية الرقيقة التي تغلف اللغة بمفهومها الشامل. فوراء هذه الاصوات المنطوقة أو المسموعة عمليات بالغة التعقيد الى حد يقف عنده الانسان مذهولا حائرا. فاللغة بمفهومها الشامل مجموعة متضافرة ومتشابكة من عوامل تكاد تنبو عن الحصر. فلكي ينطق المتكلم بعبارة واحدة مهما كانت بسيطة لا بد له من أن « يهيء » الرسالة التي يريد ان تحملها عبارته الى السامع. أما كيف تتم عملية التهيئة فهذا ما يزال سرا غامضا من الأسرار التي تكتنف الانسان نفسه. فكيفية نشوء الرسالة في دماغ الانسان قبل أن تتحول الى أصوات تطلقها الأعضاء الصوتية تعد أمرا مجهولا حتى يومنا هذا.

لقد حاولت نظريات متعددة كالسلوكية والبنيوية والتوليدية وغيرها أن تقدم تفسيرا لاكتساب اللغة وممارستها. الا أن الاخفاق كان نصيبها جميعا لأنها كانت تتعامل مع اللغة من الناحية « الشكلية formal » فحسب وتغفل مرحلة « ما قبل النطق » رغم أهميتها الكبرى.

فالبحث في كيفية « نشوء » اللغة في دماغ المتكلم لا يقل اهمية بأية حال من الاحوال عن البحث في الجوانب « الشكلية » المحسوسة من اللغة. ولكني اجد العذر لتلك النظريات، فالدماغ البشري نفسه، حيث تكمن أسرار اللغة وخباياها، لا يزال لغزا محيرا لا يعرف عنه سوى القليل. وهذا يعني أن حل لغز اللغة رهن بحل لغز الدماغ البشري.

ومن المعروف أن الدماغ هو ذلك الجهاز الكهربي الذي يتحكم، مع بقية أجزاء الجهاز

العصبي ، بشتى أنواع السلوك الانساني . ومن المهم أن أنوه في هذا المقام بقدرة الدماغ غير المحدودة على الابداع – أي استنباط المفاهيم والأفكار وإصدار الأوامر الى مختلف عضلات الجسم كي تقوم بأعمال معينة . وقد يمارس الدماغ نشاطه من تلقاء نفسه دون أية حوافز خارجية واضحة . وهذا يشير الى أن السلوكيين بمن فيهم بلومفيلد Bloomfield ارتكبوا خطأ فادحا حين ظنوا أن السلوك الانساني بأكمله ، بما في ذلك اللغة ، هو مجرد مجموعة من « استجابات لتأثيرات » خارجية . فلو كانت النظرية السلوكية صحيحة لولدت التأثيرات المتماثلة استجابات متماثلة أيضا . لكن هذا ينافي الواقع . فاذا أخذنا أي « تأثير » ( بالمعنى السلوكي ) ، وجدنا ان من الممكن للدماغ أن يرد عليه باستجابات متباينة عند مختلف أفراد المجتمع ، أو حتى عند الفرد نفسه في ظروف مختلفة .

تخيّل مثلا أن رجلا شتم آخر ونعته بالغباء ( وهذا يعد « تأثيرا » في العرف السلوكي ) ، فهل ستكون « الاستجابة » معروفة إن الاجابة عن هذا السؤال هي بالنفي حتما . فقد تأخذ استجابة الآخر شكلا كلاميا كأن يقول للأول « إنك مخطىء » ، أو تتخذ شكلا عمليا كأن يبادر الى توجيه صفعة الى وجه محدثه ان كانت لديه نزعة عدوانية ، وربما انصرف عنه دون أن ينبس ببنت شفة ! ولعل هناك استجابات أخرى لا يمكن التكهن بها جميعا ، لكنها على اختلافها تشير الى أن الاستجابة هي من « صنع » الدماغ نفسه لذلك فان من العسير تحديدها مسبقا .

من هنا نتبين أن الدماغ « يحفز » نفسه بنفسه دون حاجة الى تأثيرات خارجية ، وإلا فكيف نفسر قيام الانسان بأعمال لا حصر لها دون التعرض الى أي نوع من الحوافز الخارجية ؟ فقد يكون أحدنا جالسا فينهض فجأة دون سبب خارجي واضح ويغادر الغرفة ، أو يجري مكالمة هاتفية مع أحد أصدقائه ، وهكذا . وما ينطبق على السلوك الحركي ينطبق أيضا على السلوك الكلامي . والأمثلة على ذلك كثيرة ، وأبرزها ظاهرة التفكير التي يقوم بها الانسان . فالتفكير في واقع الأمر ليس سوى حديث صامت يجري داخل « العقل »

نستنتج مما سبق أن الدماغ هو المسؤول الأول عن نشوء « الفكرة » أو « الرسالة » التي يريد المتكلم إيصالها الى السامع قبل إعطائها شكلها المسموع عن طريق أعضاء النطق وأن اللغة في واقع الأمر ليست سوى تمثيل للعملية النفسية المعقدة التي ندعوها بالتفكير لأن التفكير لا يمكن أن يتم إلا داخل مجموعة معينة من خلايا الدماغ تتصل مع عضلات الجهاز الصوتي بشبكة كثيفة من الأعصاب .

وبالرغم من أننا نكاد لا نعرف شيئا عن « كيفية » التفكير ، الا أن من الثابت علميا أن لها صلات وثيقة بالتحولات الكيميائية داخل الدماغ وبالنبضات الكهربائية التي يستعملها في إرسال الاشارات واستقبالها على نمط شبيه بما يجري في الحاسبات الآلية الى حد كبير .

ويعتمد نشوء الفكرة في الخلايا الدماغية على عوامل لا حصر لها ، منها العوامل النفسية والمعرفية والدلالية ، وما إلى ذلك . وبوسعنا أن نتخيل مدى التعقيد في العمليات التي تجري في الدماغ من خلال النطق بعبارة بسيطة ولتكن « السعادة صعبة المنال » . فللنطق بالمثال السابق لا بد للدماغ من القيام بسلسلة طويلة ومعقدة جدا من العمليات تتمثل في الاتصال بالمعلومات المختزنة في خلاياه ، فيستحضر أولا مفاهيم « السعادة ، والصعوبة ، والمنال » المجردة بكل ما تحويه من مضامين نفسية ومعرفية . ثم يقوم بالربط بين هذه المفاهيم ربطا منطقيا يحدد طبيعة العلاقات فيما بينها . ( ومن الجدير بالملاحظة أن الدماغ لا ينشىء عبارة مثل « حلّق فيلٌ في أمواج الصحراء » لأن من المستحيل الربط بين مفاهيمها ربطا منطقيا في الظروف العادية ، فهي مزيج غير متجانس من مفاهيم متناقضة لا يمكن الجمع بينها ، تماما مثل رفضه المعادلة الرياضية الخاطئة ١ + ١ = ٣ ) .

ثم يأتي دور الربط النحوي بين هذه المفاهيم المجردة ، وهذا يعني الاتصال مع مجموعة القواعد النحوية المختزنة الخاصة باللغة المعينة التي يريد المتكلم استخدامها . فالعربية على سبيل المثال تبيح أن تبدأ الجملة بالفعل ثم الفاعل ثم المفعول به كما في قولنا « التهمت القطة الفأر » . بينما تبدأ الانجليزية بالفاعل ثم الفعل ثم المفعول به كما في The cat devoured the rat كذلك نرى أن

اليابانية ، على النقيض من العربية والانجليزية والفرنسية ، تضع حروف الجر بعد الاسماء المجرورة . ( لاحظ أن الربط المنطقي ، على العكس من الربط النحوي ، أمر مستقل تماما عن أية لغة من اللغات لأنه يتعامل بالمفاهيم المجردة في معزل عن المكونات النحوية والصوتية التي تختلف من لغة الى أخرى ) . فالروابط النحوية تمثل المرحلة الثانية من اعداد الفكرة قبل اختيار الشكل الصوتي الذي يمثل كل مفهوم على حدة . أما المرحلة الأخيرة فتتمثل في اعطاء الأوامر الى عضلات النطق المختلفة من أجل إصدار الأصوات المناسبة للتعبير عن المفاهيم التي يراد التعبير عنها بالكلام .

وإذا سلمنا بأن اللغة في أعلى مستوياتها المجردة هي واحدة لا فرق بينها ( وأقصد مستوى العلاقات المنطقية بين مجموعة المفاهيم التي يقوم الدماغ بالربط بينها ) أدركنا حقيقة مهمة أخرى وهي أن ذلك المستوى اللغوي على الاقل جزء لا يتجزأ من التركيب البيولوجي البشري بمعنى أنه أحد الصفات الوراثية التي تميز بني البشر عن غيرهم من المخلوقات . لكن اختلاف اللغات هو غالبا اختلاف في الشكل لا في المضمون . وهو اختلاف ناشيء عن عملية « الموالفة » التي يجريها الدماغ بين القدرة الموروثة وبين المعلومات « المرنة » التي تدخله على شكل كلام يسمعه الطفل من حوله في سني حياته الأولى . انها اذا عملية موالفة ـ أو ان شئت برمجة ـ تتم بين القوالب الخام في القدرة الموروثة ( وهو ما كان يعرف سابقا بالاستعداد الفطري لتعلم اللغة ) وبين المعلومات الداخلة اليها .

وتجدر الاشارة هنا الى أن ثمة خلافا جوهريا بين ما ذكرته آنفا وبين ما ذكره اللغوي المعروف تشومسكي Chomsky في هذا الشأن .

فتشومسكي يعتقد أن الطفل يولد ولديه كم هائل من القواعد اللغوية تصلح لجميع اللغات الانسانية . وما على الطفل إلا أن يختار منها ما يناسب اللغة التي يسمعها حوله ويستبعد غير المناسب منها . وبذلك تتكون لديه في نهاية المطاف مجموعة كاملة من القواعد تخص لغته الأم بعد أن يكون قد تخلص من جميع القواعد الأخرى غير الملائمة . لكن هذا الادعاء الذي حمل لواءه تشومسكي وأتباعه التوليديون يفتقر الى الأدلة المادية ، اضافة الى كونه بعيدا عن الواقع .

أما « فرضية الموالفة » التي ذكرتها فيمكن إثباتها عن طريق المقارنة بين نشاط الدماغ وبرمجة الحاسبات الآلية المعروفة . فالدماغ وما يحويه من فطرة لغوية يمكن ان يقارن بالجزء الصلب من الحاسب الآلي ، بينما يشكل الكلام المسموع المعلومات الضرورية لعملية البرمجة الأولية . وتكتمل عملية البرمجة مع بلوغ الطفل سن الخامسة تقريبا حين يصبح لديه برنامج متكامل يستخدمه في « توليد » عدد لا حصر له من الجمل والعبارات الكلامية .

ومن الملاحظ أن عملية البرمجة الأولية تتم مرة واحدة فقط . وهذه نقطة على جانب كبير من الأهمية لأنها تفسر لنا مدى صعوبة تعلم أية لغة ثانوية بعد مرحلة الطفولة . فتعلم ( أو اكتساب ) لغة ثانوية يشبه عملية برمجة جديدة تتضمن « إقحام » معلومات لا تآلف بينها وبين البرنامج الأصلي ـ ان صح التعبير . ومن هنا نتبين السبب في صعوبة تعلم اللغات « الاجنبية » لا سيما عند الكبار .

ان لفرضية اكتساب اللغة الأم عن طريق عملية الموالفة التي أوجزتها فيما سبق جوانب إيجابية متعددة . فهي قبل كل شيء أقرب الى الواقع بدليل المقارنة بينها وبين الحاسبا ت الآلية . كما أنها تتفق وبرمجة العمليات السلوكية الأخرى التي يقوم بها دماغ الانسان بشكل واضح مثل المشي وقيادة السيارة وأجراء العمليات الحسابية وما الى ذلك . لذلك فان فرضية الموالفة تسد الثغرة أيضا في النظرية السلوكية القديمة التي تدعي بأن اكتساب اللغة ليس سوى « عادة » تكتسب بالتكرار وأنها سلسلة من عمليات « التأثير والاستجابة » المتبادلة بين الفرد ومحيطه . ففرضية الموالفة تأخذ الجانب الابداعي لا في عملية اكتساب اللغة فحسب بل وفي ممارستها أيضا باسنادها دورا حيويا للدماغ ، وهي بذلك تشكل خطوة نحو فهم أشمل وأعم لجانب في غاية الأهمية من جوانب السلوك الانساني ألا وهو اللغة □

## المراجع


Hockett, C. A Course in Modern Linguistics. Macmillan, 1958 (P. 570)

دنيس وبتشن « المنظومة الكلامية » . ترجمة د.محي الدين حميدي ، معهد الانماء العربي ١٩٨٩ ( ص ١٩٤ ) .

Bloomfield, L. Language. 1933 Holt, New York.

المنظومة الكلامية ، ( ص ١٢٦ )

Clark and Clark. Psycholohy and Language. HBJ, 1977 (P. 275)

N. Chomsky, Aspects. MIT, 1969 (P. 47)

# قصيدتان

شعر : حسب الشيخ جعفر / العراق

## الصفا

قال ابن ثروان التريب ، وقد أتى المتبطلون
يتساءلون : لم القلادة يا يزيد ؟
( اني بصائفة النهار تتيهُ بي حُمرُ الظنون
وبها سأعرفني ، فأنجو في الزحام فلا أحيد )

★ ★ ★

( ولم الخصاصة والنحول ؟ ) فما أجاب
بل خط فوق التربِ شيئا عاجلا ، ومحا وقال :
( انا قلتُ ما قالت عصاي ، وللأنامِ وللتراب
ما للرياح وللمناخل من تذكر ما يقال ! )

★ ★ ★

فتضاحكوا يتدافعون الى الحمول : ( فما النكوصْ
عن اخوة لك في النباهةِ والنُّهىٰ ؟ )
( إني مررتُ على منازلهم ، وقد آن القلوص
بعدوا فما أبصرت إلا ما التوى وتموها )

★ ★ ★

( أتحية ؟ ) .. ( ولمن ؟ سهوت وإن صحوت مطوّقا !
قصر الرشاء وطال لي جبّي ، فأين الملتقى ؟

## الهولة

أدهم جُبَّتْ له جلبابَ قرٍّ ورياح
يتدلّى سقفهُ المغبرّ مُرمدَّ الكَوى
شِمْتُ في بطحائه لمحا تبدّى باقتداح
قلت : إني مدرك في السفعِ نارا أو صُوى

★ ★ ★

فتنوّرت حيال السلع جمرا وامرأه
غوَّرت فاستغولت في كل آن
( ما أنا ، يا جارتا ، منك بدار مطفأه
لكِ مني ، يا ابنة الاغوال ، أعطاف الامان )

★ ★ ★

فالتوت بالنظرةِ الشزراء وجهاً أهولا
وهي تحثو ، في الصلا ، النقع وتُلهي باليدين
فإذا ولّت وكنت الاغولا
طار بالقحف لها ابن القين في غمضة عين

★ ★ ★

وتأبَّطتُ أنا الرأس ، ولم نبرح ندور
أنا والثور بغول الصبر ، نرحو أو نخور !

# كتب مهداة

★ «**عسير في أطوار التاريخ**»، تأليف الاستاذ محمد احمد العقيلي. يقع هذا الكتاب في ١٣٢ صفحة من القطع الصغير، ويتناول فيه مؤلفه ذكر منطقة عسير في المراحل التاريخية المتعاقبة منذ العهد الجاهلي حتى العصر الحاضر، والاجناس البشرية فيها وجغرافيتها والقبائل التي استوطنتها وفي خاتمة الكتاب فهارس بأسماء القبائل والشعوب والبلدان والدول والامارات التي تعرض لها الكتاب.

★ «**دراسة في حياة وأعمال نخبة من اعلام الأدب الحديث في سورية والمهجر**»، تأليف الاستاذ عيسى فتوح، يتعرض هذا الكتاب بشكل موجز لحياة عشرين مؤلفا وأديبا سوريا عاصرهم الكاتب وتبادل معهم الرسائل عدة سنوات، كما يتطرق لأهم مؤلفاتهم ويلقي الضوء على جهودهم في بناء نهضة فكرية وقومية فاعلة. يقع الكتاب في ١٤٤ صفحة وصدر عن دار المنارة بلبنان.

★ «**المرأة في حماية الشريعة**»، تأليف الشيخ يوسف عبدالله الدغفق. يحتوي هذا الكتاب الذي يقع في ١٥٠ صفحة على عدد من المقالات التي تتناول وضع المرأة في الاسلام، ويعالج واجبات المرأة تجاه زوجها وشروط اقامة العائلة المسلمة كما يتطرق الى ظواهر كغلاء المهور والخدم والانحراف والطلاق.

★ «**فن الرواية في الادب العربي السعودي المعاصر**»، تأليف الدكتور محمد صالح الشنطي. صدر هذا الكتاب عن نادي جازان الادبي في ٣٨٣ صفحة من القطع المتوسط ويتضمن مقدمة تاريخية عن فن الرواية في المملكة ومناهج دراستها كما يحتوي على بابين هما: هاجس التحول ويدرس فيه مخاض الرواية.
أما في الباب الثاني: هامش التحول فيدرس الكاتب الرؤى الوجدانية والتجارب العاطفية والذاتية والنزعات الانسانية عند بعض الكتاب كما يدرس الرواية التاريخية والتسجيلية عند كتاب آخرين. كما يتضمن رصدا ببليوجرافيا للروايات التي ظهرت في المملكة منذ عام ١٩٣٠م.

★ «**كتاب الكرم والجود وسخاء النفوس**»، تصنيف الامام البرجلاني، حققه الدكتور عامر حسن صبري، يقع في ٨٠ صفحة ويتعرض الى مكانة الكرم والجود في الاسلام مدللا على ذلك بعدد من الاحاديث النبوية الشريفة كما يحوي مقدمة عن حياة المؤلف ومصنفاته.

★ «**نقوش الحناء للأفراح**»، كتاب في ٧٩ صفحة يتضمن رسوما عن النقش بالحناء للفنان التشكيلي ميرزا حسين الصالح، ومقدمة لعلي ابراهيم الدرورة كما يحوي ارشادات في كيفية استخدام النقوش وأغان عن الحناء تنشد في الافراح والمناسبات وتعكس رسوم الكتاب ايحاءات مستمدة من البيئة والزخارف الاسلامية.

★ «**اطلالة على مشارف الزمن**»، للكاتب خليل ابراهيم الفزيع. يقع هذا الكتاب في ١٠٤ صفحات، وصدر عن نادي المنطقة الشرقية الادبي بالدمام وهو عبارة عن عدد من المقالات تعالج بعض الشئون الادبية والثقافية والحضارية وبعض الامراض الاجتماعية كما تناقش بعض المسائل الاقتصادية كمشكلة الغذاء والديون والهوة بين الدول الغنية والفقيرة وبعض المواقف الصهيونية من العالم.

★ «**دراسات في شعر محمد علي السنوسي**»، كتاب صدر عن نادي جازان الادبي ويضم دراسات عن عناصر التشكيل الجمالي، والمحور الروحي، واللغة الشعرية وقضايا العروبة في شعر السنوسي.

★ «**ثورة البراق**»، للمؤلف بسام العسلي. صدر عن داري الناشر والديوان للطباعة والنشر في بيروت، في ١٨١ صفحة من القطع الصغير، ويعالج هذا الكتاب المخططات البريطانية على ارض فلسطين وتهويد الارض العربية وفشل الجهود السلمية العربية في معالجة كارثة الاحتلال الاسرائيلي كما يقدم قراءات في اوراق الحكومة اليهودية في فلسطين وصك الانتداب والاطماع الاسرائيلية.

القافلة في أدغال أفريقيا

# الرحلة إلى سامبورو

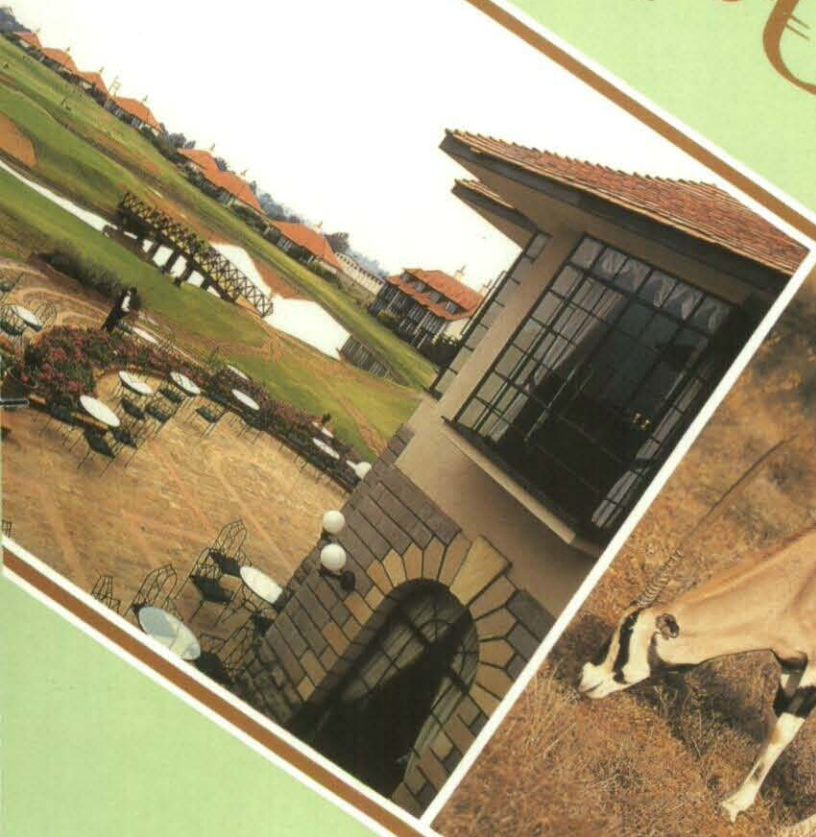

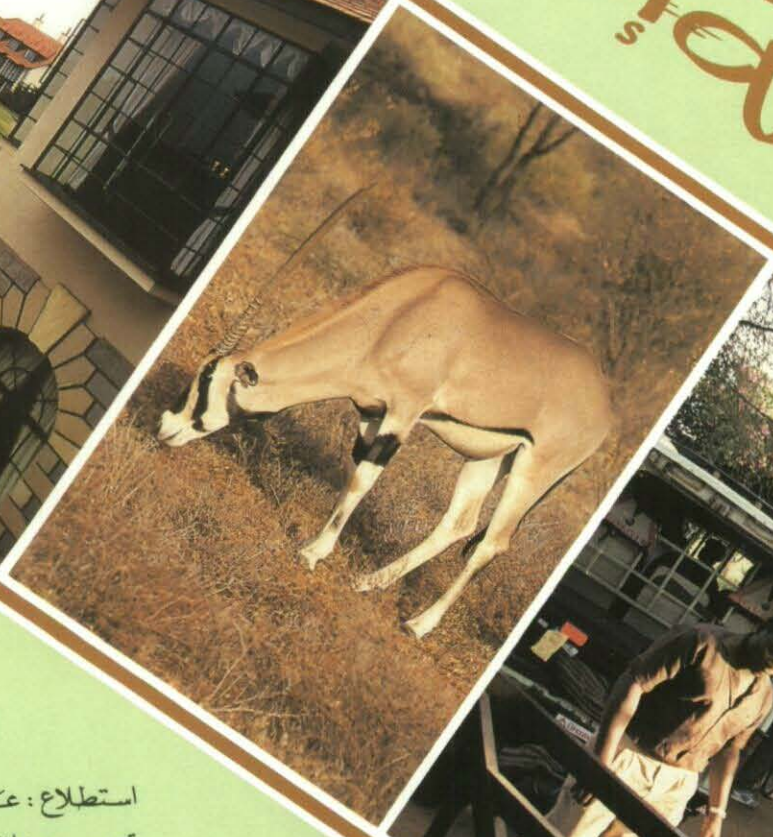

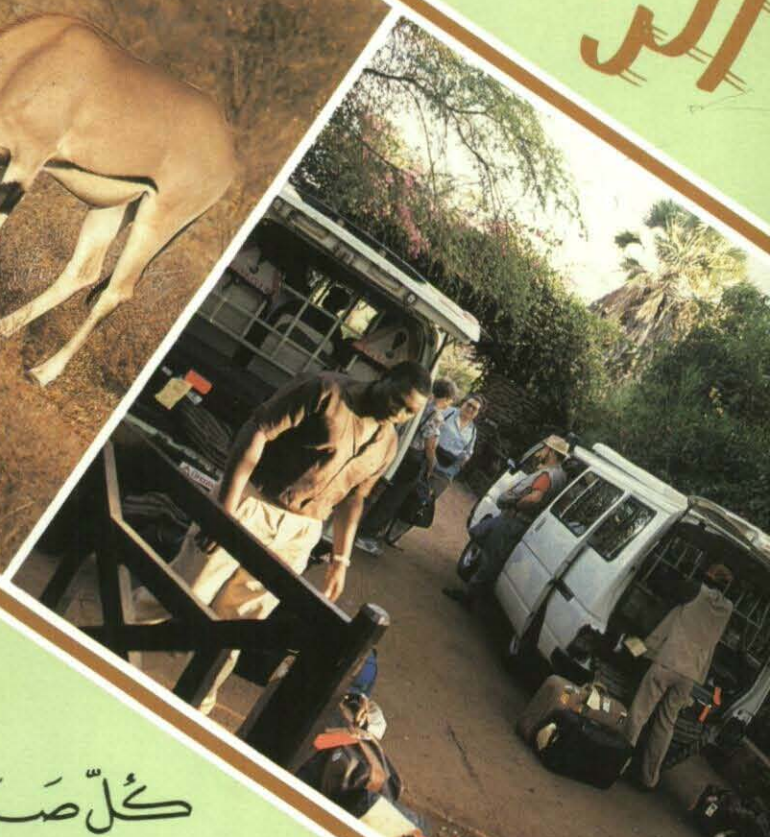

استطلاع : عادل أحمد صادق / هيئة التحرير
تصوير : عبدالله يوسف الدبيس / أرامكو السعودية

كُلّ صَباح يَستيقظ الغَزال في أفريقيا، ويَجبُ أن يَجري بسرعَة تفوق سرعَة الأسد، وإلّا فإنّه سيقتل. وكُلّ صباح يَستيقظ الأسَد أيضًا، وَيَجب أن يَصيد أبطأ غزَال وإلّا فإنّه سَيمُوت جُوعًا، ولايهمّ إن كَان الذي يَجري غزالًا أم أسدًا، فمتىٰ أشرقت الشمس، فعَلىٰ الجَميع أن يَجرُوا.

وصلنا الى نيروبي ، قبل شروق الشمس . كانت سماء المدينة ملبدة بالغيوم ، ورذاذ المطر يتساقط خفيفا بينما نسمات الهواء الباردة تداعب وجوهنا . كان هذا الجو أشبه بالمفاجأة ، فلم نكن نتوقع هذا الطقس البارد في هذا الوقت من السنة ، أو في هذه البقعة من العالم . على العكس كنا نتوقع طقسا حارا . ولكن كان الهواء البارد يداعب اجسادنا وحبات المطر كانت تبلل شعر رؤوسنا .

ان المكوث في فندق نادي وندزور للجولف الذي افتتح في ديسمبر ١٩٩١م ، يجلب الراحة الى النفس . ويبعد الفندق عن نيروبي حوالي نصف ساعة . ويقع في احدى ضواحي العاصمة تلفه الخضرة من جميع الجوانب . أرض سندسية خضراء وأشجار كثيفة وبحيرات وجداول ماء رقراقة .

بدأنا اليوم التالي رحلتنا باتجاه الشمال ، الى منطقة سامبورو وهي منطقة شبه صحراوية تقع في وسط الطريق بين نيروبي وبحيرة توركانا . وسامبورو اسم لجماعة سكنت المنطقة تعود في أصولها الى التاريخ القديم .

وتبلغ مساحة هذه المنطقة حوالي مائة وأربعة كيلومترات مربعة . وتشتهر بوجود طيور النعام ، والحمار الوحشي ، والفيلة ، والزراف ، والغزلان ، والتماسيح ، والسناجب ، والفهود ، كما توجد بها مئات الانواع من الطيور .

كان الطقس في الصباح باردا والغيوم كثيفة ، ولكنها تبددت وانقشعت من سماء العاصمة بعد فترة قصيرة . تحركت الحافلة بنا وسرنا بسرعة ثمانين كيلومترا في الساعة ، السرعة القصوى المسموح بها في

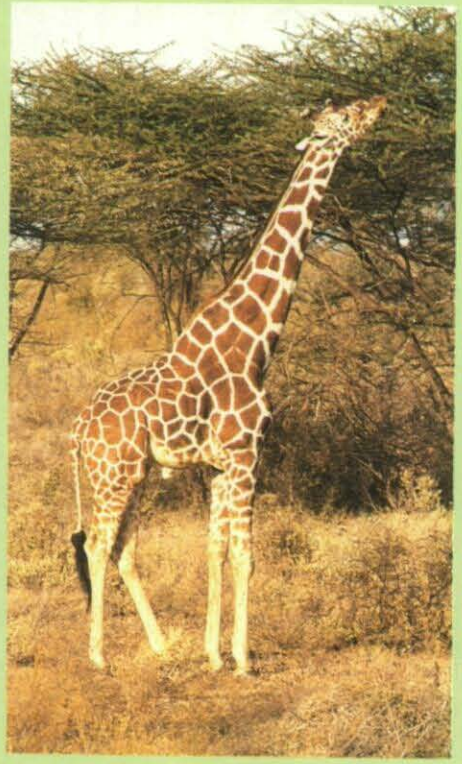

كينيا . الازهار لا تعد ولا تحصى ، ولا عجب اذا عرفنا بأن كينيا تصدر الازهار بشتى ألوانها وأنواعها الى مناطق كثيرة من العالم . في رحلتنا الى سامبورو شاهدنا المزارع الواسعة الخاصة بالازهار ، وهذه الازهار التي تحتاج الى عناية كبيرة لكي تنمو في اوروبا مثلا ، تنبت طبيعيا في كينيا .

ويعيش في كينيا أربعة وعشرون مليون نسمة ، يتحدثون اثنتين وأربعين لغة ، وينتمون كذلك الى اثنتين وأربعين قومية مختلفة . اكبر هذه القوميات تعرف باسم كيكيو وتمثل عشرين بالمائة من مجموع السكان ، والمجموعة الثانية هي أوليو وتمثل أربعة عشر بالمائة من مجموع السكان ، بينما تمثل قومية كالينجن حوالي عشرة بالمائة .

والكل من هذه القوميات عاداتها الخاصة بها ، ولكن السكان يجتمعون في أشياء كثيرة ، أهمها صراعهم من اجل البقاء وسط الظروف القاسية التي يعيشونها . ويجتمعون ايضا في انهم يتحدثون بلغتين رئيستين السواحلية والانجليزية ، وهما اللغتان الرسميتان المستخدمتان في البلاد . وقد اصبحت اللغة السواحلية ، اللغة الرسمية في كينيا منذ ١٩٧٤م .

وشاهدنا خلال الرحلة ، عشش مخروطية الشكل ، على جانبي الطريق اشبه بتلك العشش التي زارتها القافلة في بعض قرى جازان في المملكة، ولكنها هنا غير مزودة بالكهرباء أو الماء ، ويعيش اهلها على الشموع والفوانيس .

على الطريق قرود كثيرة ذات وجوه سوداء تقطع الشارع ، ويتحتم على السائق ان يوقف السيارة أو يهدىء من سرعته لكي يسمح لها بالمرور .

وكان الرعاة على جانبي الطريق يسوقون اغنامهم الى المراعي .

توقفنا مرات عديدة لنشاهد الباعة الذين يبيعون المشغولات اليدوية والمنتوجات التي يقومون بصناعتها . وتباع بأسعار زهيدة . توقفنا عند المنطقة التي يمر بها خط الاستواء لمدة نصف ساعة ، شاهدنا خلالها تجربة مثيرة ، أثبت الكينيون لنا من خلالها اختلاف حركة الارض في شمال خط الاستواء عنها في جنوبه . فقد وقفنا على مسافة عشرين مترا الى الشمال من خط الاستواء الوهمي وشاهدنا حركة بعض العصي في الماء تتحرك عكس حركة عقارب الساعة . وعندما وقفنا على مسافة عشرين مترا الى الجنوب من خط الاستواء كانت الاشياء تتحرك في اناء الماء باتجاه حركة عقارب الساعة .

واصلنا رحلتنا نحو الشمال الى سامبورو . الطريق المعبدة اصبحت رمالا وحجارة صغيرة ، مما اضطرنا الى وضع الاقنعة على وجوهنا لكي لا نستنشق الغبار الذي تثيرة الحافلات والسيارات .

كانت الرحلة الى سامبورو ممتعة . من حيث الطبيعة الخلابة والحيوانات المتنوعة التي شاهدناها على الطريق . وعندما وصلنا الى سامبورو ، توجهنا الى منتجع سامبورو الذي يقع على ضفة نهر صغير . غربت الشمس وأضفى الظلام على المكان شيئا من الرهبة ، وينصح العاملون في المنتجع النزلاء بعدم مغادرة غرفهم ليلا دون مرافق ؛ إذ ان التماسيح تخرج احيانا لتنام على ضفة النهر ، أو للبحث عن فريسة قريبا من الغرف التي يقطنها النزلاء ، والتي تقابل ابوابها النهر .

وبالرغم من حرارة الطقس ، الذي كان باردا في الصباح ، كان من

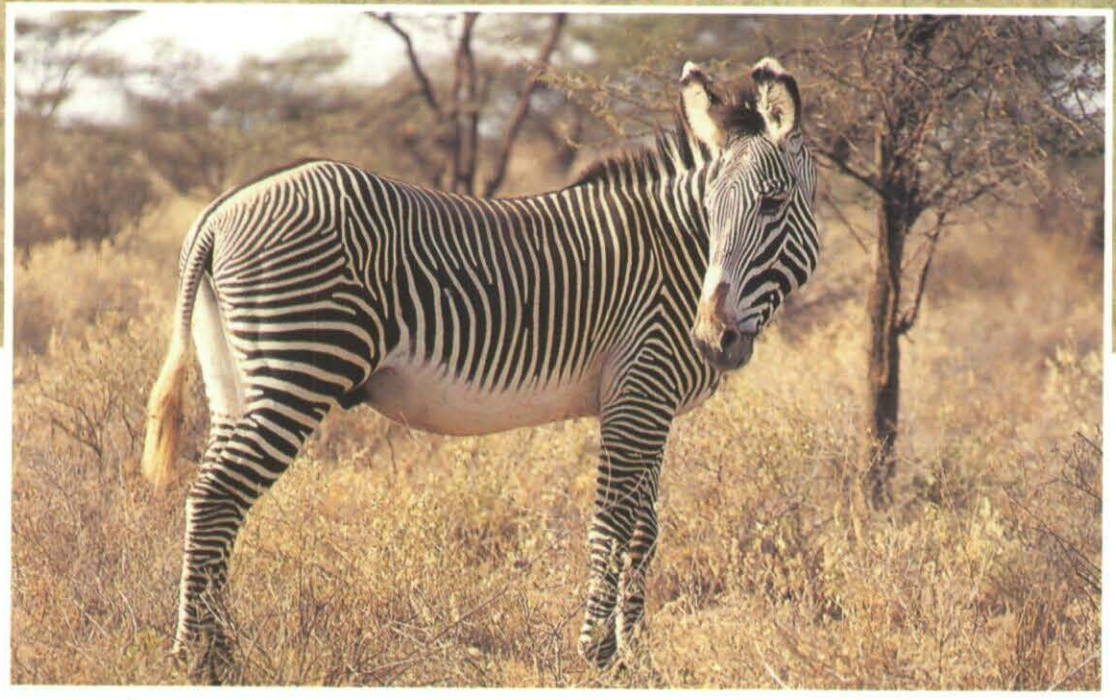

غير الممكن ابقاء النوافذ مفتوحة ليلا حتى لا يتعرض النزلاء الى مخاطر الحيوانات المفترسة التي من الممكن أن تدخل الغرف وتسبب لهم الاذى . كما ان الغرف غير مزودة بمكيفات هواء . وكل سرير محاط بـ « كلة » من جميع الجوانب لكي لا يتمكن البعوض أو الحشرات الصغيرة من التسلل الى السرير وازعاج النائمين . لم تكن هناك بمنتجع سامبورو أي وسيلة اتصال بالعالم خارج هذه المنطقة ، كما لا توجد أجهزة تلفزيون أو راديو في الغرف . وكانت الطريقة الوحيدة للاستيقاظ صباحا هي ان يطرق موظف الاستقبال الباب على النزيل في الوقت المحدد لذلك .

ويمنع منعا باتا استخدام الراديو أو آلة التسجيل ؛ فالناس تأتي الى هذه الاماكن المعزولة عن العالم لكي تنعم بالهدوء والاسترخاء والاستمتاع بجمال الطبيعة ومشاهدة الحيوانات .

كانت في المنتجع بعض الفهود نائمة على أغصان الاشجار ، تنتظر وجبتها الرئيسة في المساء وهناك وجبة اخرى في الصباح ، يقدمها اصحاب المنتجع لكي تظل الفهود بالقرب من المنتجع ، فيتمكن الزوار من مشاهدتها .

وكان النوم مع اصوات التماسيح مخيفا ، لأن أصواتها مزعجة خاصة عندما تختلط مع أصوات حركتها في الماء . كما كان لنقيق الضفادع صدى آخر يبعث الخوف والقلق .

في صباح اليوم التالي استيقظنا في الخامسة ، وبدأنا رحلتنا . أول الحيوانات التي شاهدناها في هذا الاقليم كان « النو » وهو ثيتل افريقي ذو رأس كرأس الثور وقرنين معقوفين وذيل طويل ، وعادة ما يرى هذا الحيوان في

مجموعات تبلغ آلافا . وتعيش كلها في المناطق المفتوحة في الاحراش ـ السافانا ـ ويوجد في كينيا حوالي مليون ونصف من هذا الحيوان . ويمتاز النو بترحاله الدائم من الجنوب الى الشمال وبالعكس بحثا عن الماء خاصة في مواسم الجفاف ، وهو لا يسلك طريقا معينا في رحلتيه . ويواجه فيهما مخاطر جمة تتمثل في الاسود والذئاب والنمور . وتشكل المياه ايضا خطرا اخر للثيتل ؛ اذ ان مجموعات كبيرة من هذا الحيوان تموت غرقا في المياه العميقة ، خاصة وقت هطول الامطار . وتستطيع صغار هذا الحيوان ان تقف على ارجلها بعد خمس دقائق من ولادتها ، كما انها تملك القدرة على الجري بنفس سرعة الكبار حالما تقف على ارجلها .

ويتعرض هذا الحيوان للموت لسببين ، الأول : الركض الدائم فلا يعرف الراحة والاستقرار النفسي الا بالركض حيث ينهك نفسه ويموت ، والثاني : الدوران حول نفسه بغية التوازن فهو يدور حول نفسه حتى يموت .

وقد شاهدنا الكثير من أكوام الرمل التي جمعتها الأرضة في مناطق السافانا المفتوحة ، وكانت الطيور كثيرة ايضا ، ولقد لفت انتباهنا « الماريه » ، وهو نوع من بقر الوحش الافريقي ويتميز هذا الحيوان بوجه يجمع بين وجه البقرة ووجه الغزال معا ، وله قرنان طويلان ، وعادة ما يرى هذا الحيوان في مجموعات تتكون من خمسة الى خمسة وثلاثين ، ويتغذى على الحشائش والنباتات والاوراق . واذا لم يجد الماء فانه يحفر الارض بحثا عنه أو يمتصه من النباتات ، كما انه قليل الاعتماد على الماء بعكس الحيوانات التي من فصيلته في افريقيا . وتدافع الاناث عن صغارها بكل شجاعة .

وعندما تولد الصغار ، تكتسب ألوان أمها خلال ثلاثة اشهر ونصف . وتعد الماريه فريسة صعبة للأسود وكلاب الصيد لسرعتها ودفاعها عن نفسها . الا ان الصغار عادة ما تكون فريسة للطيور الجارحة . وتصارع حيوانات الماريه الحيوانات الاقوى منها للدفاع عن نفسها ، وباستطاعتها

استخدام قرونها الطويلة لقتل الاسود . وشاهدنا في سامبورو هذا الصباح الكثير من الزرافات التي تقف الى جانب الاشجار العالية لتتناول الاوراق والثمار .

والزراف اطوال حيوان في العالم . له قرنان في كلا الجنسين ، وله قدرة كبيرة على الرؤية . ويوجد الزراف في مجموعات من خمس الى عشرين ولكن احيانا تصل الى مئة . ويتمتع الزراف بلسان يبلغ طوله خمسة وأربعين سنتيمترا ، يتناول به الحبوب واوراق الاشجار ، كما انه يملك القدرة على البقاء بدون ماء لعدة ايام .

وتلد الزراف صغارها واقفة على اقدامها . وتتعرض الصغار الى مخاطر هجمات الاسود . ولكن الاناث تمتلك شجاعة غير عادية في الدفاع عن صغارها . ونحن نتنقل في براري سامبورو ، شاهدنا أعشاش الطيور معلقة على الاغصان ، متدلية في الفضاء . هنا تبدأ حيوات كثير من الحيوانات وتنتهي في دورات عديدة ، لكي تتجدد الحياة وللرحلة بقية □

## الطب النفسي ومشكلات الحياة اليومية :

# أولادنا كيف نتعامل معهم ؟

بقلم : الدكتور عبد الرحمن عبد اللطيف النمر / مصر

### الغرائز الأولية :

يمكن تعريف « الغريزة » ببساطة بأنها « رغبة طبيعية يستلزم اشباعها سلوكاً معيناً من غير حاجة الى علم أو خبرة » .

ونظرة فاحصة الى سلوك الطفل ـ أي طفل ـ من لحظة مولده تكشف في الحال عن الوجه الغريزي لتصرفاته ، اذ تدور تصرفاته كلها حول غريزة المحافظة على الحياة ـ وهي أقوى غرائز الأحياء .

فعندما يدوي بكاء الرضيع في جوف الليل ، فانه لا يهدف الى ازعاج والديه وحرمانهما من لذة النوم ، ولا يريد أن يثبت وجوده ، وانما يريد جرعة من لبن أو ماء تحفظ عليه حياته ، وفي كل أمر يتعلق بوجوده تراه يلجأ الى الصياح والبكاء ، وهما لغته في تلك المرحلة من العمر . ولا يهدأ الرضيع ولا يسكت صياحه الا عندما يتحقق له ما يريد .

وعلى ذلك ، فان غريزة المحافظة على الحياة ، هي التي تفرض على الرضيع التصرف ( على ذلك النحو المزعج ) بالبكاء والصياح كلما نشأت عنده حاجة الى اشباع .

غريزة المحافظة على الحياة ، وما يلحق بها من غرائز ، تسمى « الغرائز الأولية » أو « الغرائز الأساسية » ، أو بالتسمية الأكثر شيوعاً « الغرائز الحيوانية » . ذلك أن الانسان يشترك مع سائر فصائل الحيوان في ولادته بهذه الغرائز . ( جدير بالذكر أن علم تصنيف الأحياء يضع الانسان في أعلى مملكة الحيوان باعتباره أرقى الحيوانات . « وبتعبير أكثر تهذيبا : باعتباره أرقى الأحياء » . الا أن لغة العلم تنصرف الى الحقائق المجردة دون مجاملة .

لذلك فان أولى الحقائق التي يتعين على الآباء أن يعوها وهم يتعاملون مع أبنائهم أن سلوك الطفل في أطوار نموه الأولى تحكمه « غرائز خيوانية » . وليس يعني ذلك أن نعامل أطفالنا كما نعامل القطط والحيوانات الأليفة في البيت ! وانما يعني ببساطة شديدة ألا نتوقع من أطفالنا في تلك المرحلة من العمر سلوكاً مهذباً يخضع للأعراف السائدة ويراعي الآداب المعمول بها في محيط الأسرة والمجتمع .

## الحاجات النفسيّة :

للطفل حاجات نفسية أساسية لابد من اشباعها اذا أريد له أن ينشأ نشأة سوية . وهذه الحاجات غريزية كذلك ، الا أن علم النفس يؤثر اطلاق تلك التسمية عليها ( الحاجات النفسية ) على اعتبار أن تحقيق تلك الحاجات ليس ضرورة من ضرورات البقاء . لكن اشباع تلك الحاجات النفسية ضروري لنشأة الطفل خالياً من الاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية .
وهذه الحاجات النفسية الأساسية هي :

- **الحاجة الى الحب .**
- **الحاجة الى الأمن .**
- **الاحساس بقدرة الاعتماد على النفس .**
- **الاحساس بالكرامة .**

وفيما يلي عرض مبسط لكل واحدة منها :

## الحاجة إلى الحب

من البديهي أن كل والدين يحبان طفلهما . إلا أن توصيل الحب الى الطفل قد يتخذ طرقاً غير سليمة . مثال ذلك اغراق الطفل بعشرات من اللعب ثم تركه وحيداً منزوياً في ركن من البيت ، وانصراف الأم عن طفلها بسبب عملها أو بسبب اشتغالها بشؤون البيت ، وانصراف الأب عن طفله نتيجة ساعات غيابه الطويلة عن البيت . واذا

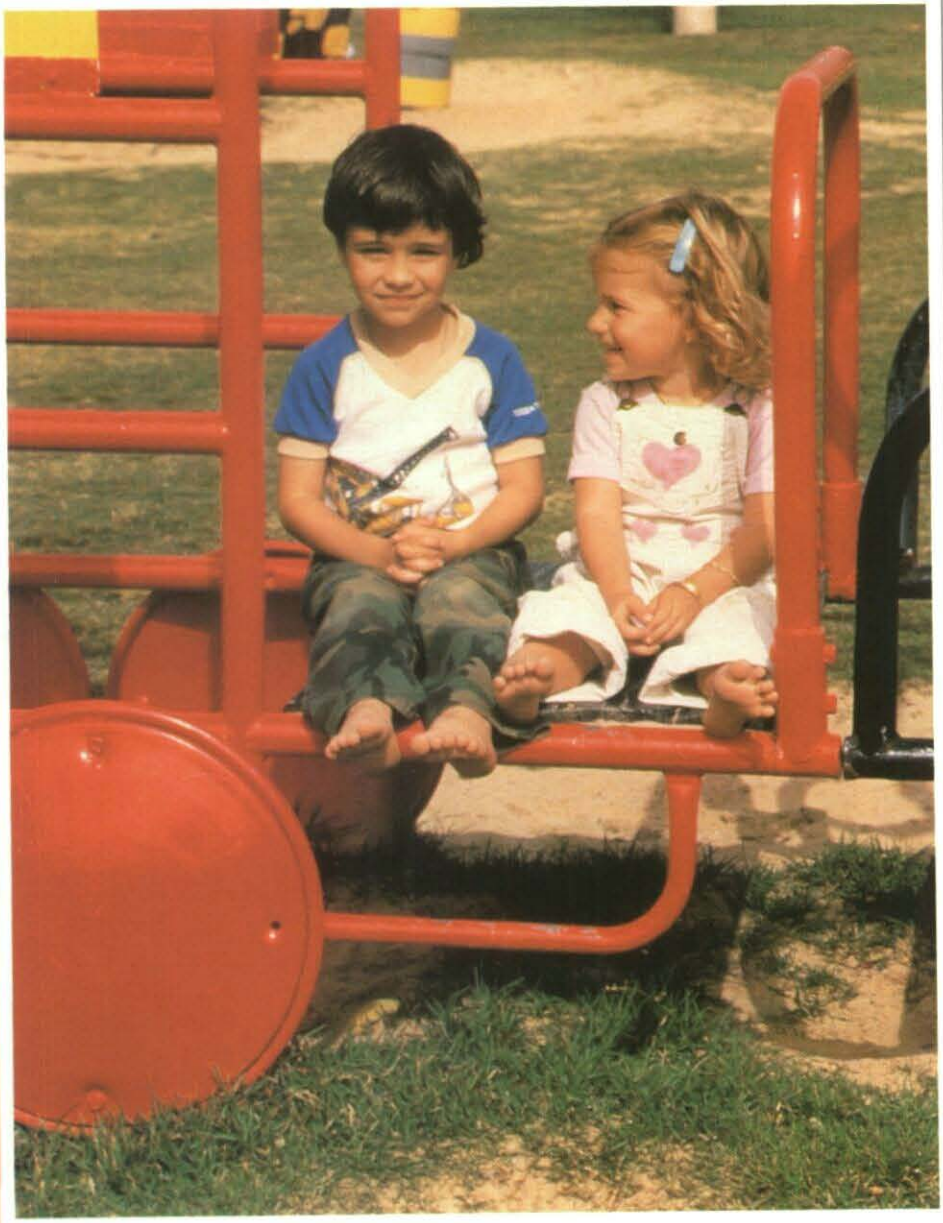

كانت اللعَب ضرورية لتسلية الطفل وتنمية مداركه ، فان ضمه وتقبيله ومشاطرته ألعابه أكبر ضرورة لنموه نمواً نفسياً سليماً . ولابد من اظهار حب الوالدين لطفلهما بمداعبته وتدليله من غير اسراف ولا تقتير .

## الحاجة إلى الأمن

ومن الأخطاء الشائعة تخويف الأطفال بأشياء عديدة لزجرهم أو منعهم من عمل ما ، أو لحثهم على طاعة وتنفيذ أوامر الوالدين لهم . وأساليب التخويف هذه ، على اختلاف أنواعها ، تغرس في الطفل مخاوف تفقده الشعور بالأمن ؛ كأن يخاف الطفل من الظلام ومن الحيوانات الأليفة وحتى من الحشرات وغيرها مما لا يسبب خوفاً ! وقد تتسع دائرة مخاوف الطفل بحيث يفقد تماماً الشعور بالأمان ، مما يؤثر عكسياً على شهيته للطعام وعلى نموه العام وعلى سلوكه داخل البيت وخارجه . ومثل هذا الطفل ينشأ جباناً ، مفتقراً الى الجرأة التي يتمتع بها أقرانه الأسوياء .

## الإحساس بقدرة الاعتماد على النفس

يحتاج الطفل في سن مبكرة الى قدر كبير من الاحساس بأنه يمكنه الاعتماد على نفسه . ويتجلى ذلك بادىء الأمر في رغبة الطفل في تناول الطعام بنفسه . ثم سرعان ما تمتد رغبته في الاعتماد على نفسه الى معظم تصرفاته ونشاطه اليومية . ومن الطبيعي أن تنشأ من رغبة الطفل في الاعتماد على نفسه عشرات الأخطاء ، فهو قطعاً سوف يلوث ملابسه وهو يحاول تناول الطعام بنفسه ، وقد يلوث المائدة كذلك ، وقد تنسكب منه أواني الطعام . ومثل هذه التصرفات من جانب الطفل ـ خصوصاً عندما يصر عليها في عناد ـ تذهب بصواب والديه ، بحيث يمكن أن يتصاعد الموقف الى صراع مرير بين رغبة الطفل في أداء العمل بنفسه واصرار والديه على منعه من ذلك ! وهذه المواقف تحتاج من الوالدين الى صبر وكياسة بحيث تتحقق للطفل رغبته في الاعتماد على نفسه بأقل خسائر ممكنة .

## الإحساس بالكرامة

من العادات الشائعة في كثير من الأسر توبيخ الطفل كلما أخطأ أو عثر ! وما أكثر ما تتردد على مسامع الطفل ألفاظ وعبارات مثل « يا غبي » ، « يا مغفل » ، « أنت سخيف » ، الى غير ذلك من الألفاظ والعبارات المشابهة ! وقد يعجب الآباء اذا علموا ان لطفلهم كرامة تخدشها هذه الألفاظ والعبارات ، مثلما تخدش كرامة الكبير ! والأسلوب

الأمثل هو أن نفهم الطفل وجه الخطأ الذي وقع فيه مع بيان وجه الصواب حيثما أمكن . ولا يعني اتباع هذا الأسلوب أن الطفل سوف يقلع عن خطئه فوراً وبصورة نهائية ! ذلك أن « المحاولة والخطأ » هي وسيلة الطفل للتعلم . وكما يتضح من التسمية ، فلابد من عدة محاولات قبل أن يمكن تجنب الخطأ .

ومما يخدش كرامة الطفل كذلك ويقلل من شعوره بالاعتبار مقارنته بغيره من أخوته وأخواته أو من أقرانه ، خصوصاً عندما تهدف المقارنة الى تحقيره أو تصغير شأنه ! وأفضل من أسلوب المقارنة المذكور ، تشجيع الطفل بصورة ايجابية على العادة أو السلوك المحبوب الذي يتمتع به غيره من أقرانه أو أخوته وأخواته .

وهكذا يتضح أن إشباع الحاجات النفسية الأساسية للأطفال أمر ميسور . وكل ما يستلزمه تحقيق ذلك هو معرفة مواطن الخطأ لتفادي الوقوع فيها ، وتعديل أسلوب التعامل مع الأطفال .

## غريزة الفضول :

الفضول أو حب الاستطلاع غريزة حيوانية ، وان تكن هذه الغريزة في فصائل الحيوان متممة لغريزة البقاء ومعززة لدورها في المحافظة على الحياة ، إلا أنها عند الانسان تتخذ بعداً أكبر يتناسب مع الوضع الراقي للانسان على رأس مملكة الحيوان .

وغريزة الفضول هي التي تدفع الطفل الى فتح كل ما هو مغلق . وما يبدو للآباء على أنه عبث من الطفل بكل محتويات البيت ليس في الحقيقة الا محاولات استكشاف يقوم بها الطفل في محيطه الصغير . ومن الطبيعي كذلك أن تكون محاولات الاستكشاف الأولى فجة لا براعة فيها . اذ ما تزال المهارات الحركية للطفل في طور النمو المبكر . وليس غريباً والحال كذلك أن تكون هناك بعض الخسائر نتيجة رياضة الاستكشاف ، سيما عند غياب المتابعة المستمرة للطفل .

ومن الخطأ الفادح قمع محاولات الاستكشاف التي يقوم بها الطفل ، واتهامه بأنه يتلف كل شيء في البيت ؛ اذ لن تسفر محاولات القمع الا عن نوبة بكاء حادة من الطفل تتوتر معها أعصاب الأم أو الأب أو الاثنين معاً ! وتزداد حدة التوتر حين تفشل محاولات اسكات الطفل وترضيته ، بحيث يمكن أن ينتهي الموقف بمشهد عنيف حين ينهال أحد الوالدين على الطفل ضربا !

والأساس الصحيح لمعالجة مواقف الاستكشاف هو افساح الطريق للطفل ليشبع غريزة الفضول دون تماد ، ومع تقدم الطفل في العمر ، يأخذ حب الاستطلاع صورة جديدة ، تتمثل في ملاحقة الوالدين بعشرات الأسئلة ، وهي أسئلة محرجة غالباً ، وقد يتكرر نفس السؤال من الطفل عدة مرات . والواجب على الآباء الاجابة على الأسئلة بصدق ، دون مراوغة وحتى دون تبسيط ، مع مراعاة أن تكون الاجابة واحدة أو متقاربة في كل مرة يتكرر فيها السؤال . فالأجوبة غير الصحيحة لن ترضي فضوله ، والأجوبة المختلفة سوف تربكه وتزيد من حيرته .

## العقاب :

بين الثانية والرابعة من العمر يكون الطفل مملوءاً بطاقة تؤهله للقيام بجميع أعمال « الشيطنة » من قفز على الأسرة الى وثب على المقاعد ، ومن اختباء في الدواليب وتحت الأرائك الى اعتلاء المناضد والتسلق على الكراسي ، ومن العدو والصياح الى ركل أقرانه وجذب شعرهم ؛ وغير ذلك من الأعمال المشابهة .

ورويداً رويدا يصبح التعامل مع الطفل أمراً صعباً ! فالأم تلهث وراء طفلها الذي يفور حيوية ، ولا تكاد تلحق به ! ولا يفيد أمر ولا نهي في زجر الطفل عن ألعابه الشيطانية ، وأكثرها لا يخلو من خطر . عندئذ قد يفلت زمام السيطرة على الأعصاب ، فتنهال الأم على صغيرها ضربا ! وقد يعجز الأب كذلك عن كبح جماح طفله الذي لا تهدأ له حركة ، ويرثي لحال زوجه التي فقدت صوابها بسبب شيطنة طفله ، فيأخذ هو كذلك في ضرب الصغير ! ومرة تلو مرة ، يصبح الضرب عادة متكررة ، بحيث لا يمر يوم دون ممارستها !

واذا كانت أعمال الطفل الشيطانية سبباً في إنزال العقاب به ، فأحياناً يضرب الطفل لأسباب لا دخل له فيها ! فغالباً ما يفوز المسكين بـ « علقة ساخنة » في أعقاب نقاش حاد بين الوالدين ترتفع فيه درجة حرارة توتر الأعصاب ! وقد يكون الطفل كذلك « كبش الفداء » لضغوط في العمل تجعل والده متوتراً مشحوناً بحيث ينفجر ( بغير وعي ) عند أدنى خطأ من الصغير . وقد تكون ظروف معيشية صعبة تجتازها الأسرة سبباً في تكرار ضرب الطفل بغير مبرر !

أياً ما كان سبب ضرب الطفل ، فان الدراسات التي يجريها الباحثون في طب الأطفال النفسي تشير جميعها الى الآثار العكسية للضرب على نفسية الطفل . بل أن العقاب البدني الشديد

( أي الذي يؤذي الطفل ) يؤدي الى نشوء عقد نفسية واضطرابات سلوكية خطيرة . كما تفيد الدراسات أن الهدف من العقاب البدني يمكن تحقيقه بوسائل أخرى أقل ايلاماً وايذاء للطفل وأجدى في تعويده على هجر السلوك أو العمل الذي يعاقب لأجله . ولعل أجدى تلك الوسائل وأنفعها على الاطلاق هو الترغيب المبني على تفهم هادىء يعقبه تشجيع بمكافأة .

من وسائل العقاب المجدية حرمان الطفل من مصروفه اليومي ، أو حرمانه من اللعب مع أقرانه . ومن المهم أن يلجأ الوالدان الى العقاب اذا كان خطأ الطفل كبيراً ، وأما توقيع العقوبة بسبب أي هفوة فأمر غير مستساغ عقلا . ومن المهم كذلك أن تكون وجهات نظر الوالدين واحدة . اذ لا يصح معاقبة الطفل على أمر تراه الأم خطأ ويراه الأب صواباً . والواجب في هذه الحالة أن يتفق الوالدان فيما بينهما أولا على ما هو خطأ وما هو صواب بالنسبة لسلوك الطفل .

## التربية الحسنة :

يقتصر مفهوم التربية في أذهان بعض الناس على توفير حياة رغدة للطفل . وكفى ، ولا يخفى ما في هذا المفهوم من قصور ؛ اذ ليست التربية مجرد اغداق الماديات على الطفل ، وانما تعني التربية بالمفهوم العلمي ( والديني كذلك ) تعليم وتعويد الطفل على التصرف الحسن في مواقف الحياة المختلفة . ويشمل هذا المفهوم ضمنياً غرس الفضيلة ومكارم الأخلاق في نفس الطفل ، وتوفير فرصة تعليم جيدة يكتسب من خلالها المهارات النافعة والسلوكيات الفاضلة التي تؤهله في النهاية للهدف الأسمى من التربية ، وهو : احسان التصرف في مواقف الحياة المختلفة .

ووفقاً للمفهوم العلمي ( والديني ) للتربية ، فان التربية عملية غير سهلة بالمرة ؛ اذ تتطلب من الوالدين مثابرة مستمرة وجهداً دائباً وصبراً واسعاً لتحقيق أهداف التربية . هذا خلافاً لما تفرضه التربية على الوالدين من الالمام بأفضل السبل الممكنة لتربية الطفل تربية حسنة ، والأسس العلمية للنهوض بهذا العمل . وأما الأعباء المادية فانها أمر هين عند مقارنتها بالأعباء الذهنية والنفسية والبدنية التي يحتملها الآباء في تربية أبنائهم .

وان تكن التربية عملا شاقاً ، فمن رحمة الله تبارك وتعالى أنها مشقة ممتعة نافعة . وللتربية الحسنة ثمرات دنيوية وأخروية ، نبين بعضها فيما يلي :

من أعظم ثمرات تربية الأطفال اكتساب المربي لفضائل عديدة قد يتعذر اكتسابها من غير هذا المضمار . ذلك أن تربية الأطفال تهيىء المناخ الملائم لاكتساب فضائل الصبر والحلم وسعة الصدر . فالمحاولات اليومية المتكررة لضبط النفس ومحايلة الطفل والتغاضي عن أخطائه ، هي في الحقيقة تمرينات ممتازة لاكتساب الفضائل المذكورة بطريقة غير مباشرة !

كذلك فان رغبة الوالدين في توفير قدوة حسنة لطفلهما تدفعهما الى التخلي عن عادات وسلوكيات مرذولة ، واحلال عادات أفضل مكانها ؛ مثال ذلك تخلي كثير من الآباء عن عادة التدخين مخافة أن يقلدهم أطفالهم في اتباعها . كما تلتزم الأمهات بأداء الصلاة في أول وقتها تشجيعاً للأطفال على اكتساب هذا الالتزام . وهذه الأمثلة من واقع الحياة وأشباهها ونظائرها كثير .

وحتى مداعبة الطفل ومشاركته ألعابه ، وهي جزء أساسي من عملية التربية ، لا تخلو من متعة وترويح عن الوالدين . وليس شيء يسرّي هموم أب مكدود مثل ضحكة عالية من طفله . وليست تنكر أمٌ أن ضم طفلها وتقبيله من أعظم مسراتها في هذه الحياة !

وفضول الطفل وأسئلته العديدة المتنوعة من أعظم أسباب إثراء ثقافة الوالدين ! فكم من أمٍ لم تكن نالت حظاً يذكر من التعليم ، راحت تدرج مع أطفالها على مدارج العلم درجة درجة ! وكم من أب خاض تجربة مماثلة .

وعندما ينجح والدان في تربية طفلهما تربية حسنة ، فانه يكون مصدر فخر وسرور لهما . وهذه جائزة من أعظم جوائز التربية ؛ اذ لا شيء في الوجود يثلج صدر أبوين مثل الاحترام والتوقير والثناء الذي يلقاهما الناس به بسبب تفوق طفلهما ونبوغه وحسن سلوكه .

وتبقى شجرة التربية الحسنة مثمرة حتى بعد أن يفارق الوالدان الدنيا . ففي الحديث الصحيح : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » . رواه مسلم .

ألا تستحق التربية بعد ذلك العناء المبذول فيها ؟! ان كل محاولة صادقة لتصحيح معاملتنا لفلذات أكبادنا هي خطوة نحو جني تلك الثمار ، وامتثال لأمر النبي ﷺ : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » . رواه ابن ماجة ( عن ابن عباس رضي الله عنهما ) □

# مفهوم الأمة في لغتنا العربية

بقلم: د. محمد عمارة / مصر

كثير من المعاجم والقواميس التي عرضت وتعرض بالتعريف لمصطلح « الأمة » ـ خاصة تلك التي تأثرت بالمضامين الغربية لهذا المصطلح ـ تميز تعريفها لهذا المصطلح بالضبط والتحديد، على تفاوت في السمات والقسمات والشروط التي وضعتها وتضعها هذه المعاجم والقواميس للجماعة البشرية الجديرة بأن تكون « أمة » متميزة عن غيرها من الامم الاخرى.

ففي الموسوعات والمعاجم ذات التوجه الفكري المادي، تتصدر العوامل المادية الشروط والسمات التي تؤهل الجماعة البشرية لتكوين « أمة » حتى تعد « السوق » والحياة الاقتصادية المشتركة هي البوتقة التي تنصهر فيها الامة، والرحم التي تولد منها، مع ما يلزم لهذه السوق من ارض مشتركة، تنمو عليها لغة مشتركة، تثمر، في الميدان الفكري والثقافي، تكوينا نفسيا مشتركا يربط بين هذه الامة بروابط المشاعر والمثل والمزاج والقيم والذكريات والمواريث والآلام والآمال[1].

وبعض هذه القواميس يذهب في التحديد والضبط لشروط « الأمة » وسماتها بعيدا الى حد الخلط بين « الأمة » و « الدولة »، فيرى « الأمة: جماعة سياسية مستقلة ذات اقليم محدد، يشترك اعضاؤها في الولاء لمؤسسة واحدة، مما يؤدي الى احساسهم بالوحدة وبأنهم يكونون مجتمعا. ولا يلزم لقيام الامة ان تكون ذات اصل مشترك، أو لغة واحدة، أو دين أو عنصر واحد، وان كانت الامم تتكون عادة اعتمادا على التاريخ المشترك ووجود عناصر ثقافية متشابهة. »[2].

وهذا الخلط بين « الأمة » و « الدولة » هو ثمرة من ثمار التأثير الغربي في مادة ومضمون هذه المعاجم والقواميس « العربية »، وهو، أيضا، خادم للأهداف الغربية من وراء اشاعة هذه المضامين في هذه التعريفات.

فالحضارة الغربية قد صاغت « للأمة » أمثال هذه التعريفات، التي خلطت بينها وبين الدولة، لأن امم هذه الحضارة قد امتلكت كل منها ـ تقريبا ـ دولتها الحرة المستقلة. وبعض هذه الحضارة وان ضمت امما متعددة، فليس في اطارها امم فتتها القهر الاستعماري فحرمها من امتلاك « الدولة » الواحدة للأمة الواحدة. فالتطابق الواقعي قائم في اطارها بين الأمة والدولة.

وشيوع هذا المفهوم ـ الذي يطابق بين « الأمة » و « الدولة » ـ في قواميس الامم التي مزقها القهر الاستعماري الغربي، أو المصالح الاقليمية الضيقة لبعض العشائر والفئات والطبقات ـ يسهم ولا شك في تشكيك هذه الامم بوحدتها، فيفقدها الاتجاه الموحد نحو استكمال وحدتها كأمة، ونحو اقامة الدولة الواحدة التي ترسخ

---

١ ـ الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من الاكاديميين السوفياتيين، باشراف: م. روزنتال، ب. يودين. ترجمة: سمير كرم. طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م.

٢ ـ قاموس علم الاجتماع، تحرير ومراجعة د. عاطف غيث. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩م.

وحدة الأمة وتنمي سماتها وقسماتها. وهنا تنهض المفاهيم الغربية ـ عندما توظف خارج اطارها وتزرع في غير أرضها ـ بدورها في مؤازرة غيرها من ادوات القهر والاستلاب التي صنعها ويصطنعها الاستعمار[٣].

ومن هذه المعاجم والقواميس من يرى آفة الخلط بين «الأمة» و«الدولة»، ومع تمييزه بخصائص التعريفات المنطقية الحديثة، التي تحاول استقصاء السمات والشروط والحدود، كي يكون التعريف اقرب ما يكون الى «الجامع المانع»، فيعرف «الامة» ـ قانونا ـ بأنها «جماعة من الناس تجمعهم عناصر مشتركة، كوحدة الاصل واللغة والعقيدة والتراث الفكري، مما يجعلهم وحدة حضارية واحدة، ويخلق عندهم شعورا بالانتماء الى تلك الوحدة وتعلقا بها. والأمة حقيقة اجتماعية وحضارية خلافا للدولة التي تعد وحدة سياسية وقانونية. ويلاحظ ان الامة الواحدة قد تكون موزعة بين عدة دول، كما كان الشأن بالنسبة للأمة العربية، كما ان الدولة قد تضم عناصر من امم مختلفة، كما كان الحال بالنسبة للامبراطورية العثمانية قديما، وسويسرا حديثا ..»[٤].

تلك هي أبرز المناهج في تعريف «الأمّـة» في المعاجم والقواميس والموسوعات الحديثة، جمعت بينها ـ رغم التمايز ـ خاصية الضبط والتحديد واستقصاء الشروط والقسمات التي لا بد منها كي نطلق على جماعة بشرية ما مصطلح «الأمة»، ولقد تعمدنا الاشارة الى هذه الخاصية الحديثة في تعريف الامة، ليظهر افتراقها مع النهج العربي الاسلامي في تعريف الامة، ذلك النهج الذي ابتعد عن الضبط والتحديد، ووقف في هذا التعريف عند حدود «الجماعة» فاعتبر الجماعة ـ أية جماعة ـ التي يربطها رابط ويجمعها جامع ـ أيا كان الرابط والجامع ـ «أمة» متميزة عن غيرها من الامم؛ ذلك ان وراء هذا النهج العربي الاسلامي دلالات فكرية تنم عن خصوصيات حضارية للأمة العربية الاسلامية جديرة بالبلورة والتحديد عندما نبحث عن المفهوم المتميز لمصطلح «الأمة» في حضارتنا العربية الاسلامية.

## مَفهُوم "الأمّـة" في أصُول العَربيّة

يقول الراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ ـ ١١٠٨ م) في (المفردات في غريب القرآن) عن تعريف «الأمة»: انها «كل جماعة يجمعها أمر ما: دين واحد، أو مكان واحد، سواء أكان ذلك تسخيرا أم اختيارا. وجمعها: امم»[٥]. انها الجماعة يجمعها أمر ما فيميزها سواء، أكان هذا الجامع طبيعيا وخلقة وتسخيرا، كما هو في الخلق الالهي لجماعات ـ امم ـ الحيوان غير المختارة، وفي الجوامع الطبيعية التي تجمع الجماعات ـ الامم ـ الانسانية، او كانت جوامع مختارة وضعية، كاللغة، مثلا.

واذا كان العرب والمسلمون القدماء قد اجتمعوا على هذا التعريف للأمة، فانهم قد اجتهدوا في تحديد العدد الادنى للجماعة التي تستحق وصف «الامة» إذا جمعها جامع وربط بينها رابط .. ففي احد الاحاديث النبوية ما يشير الى ان هذا العدد اقله مائة «ما من ميت يصلي عليه امة من المسلمين، يبلغون ان يكونوا مائة، يشفعون الا شفعوا فيه»[٦]. ومن القدماء من اجتهد فوقف بهذا العدد عند الاربعين؛ فواحد ممن سمع احدى روايات الحديث المشار اليه، سأل احد رواته ـ أبو المليح ـ عن الامة؟ «فقال: اربعون ..»[٧]. وهي تحديدات فرضها الموقف، واجتهادات لا إلزام فيها.

ولقد استقر، واستمر هذا المضمون لمصطلح «الأمة» في تراثنا اللغوي، وعبر معاجمنا العربية،[٨] وكتب التعريفات وكشافات مصطلحات العلوم الفنون[٩].

ونهج ذات النهج احدث هذه المعاجم ـ (المعجم الكبير) ـ عندما استند الى القرآن والسنة والشعر العربي ـ وهو ديوان العربية ـ فكشف عن اصالة هذا المضمون لهذا المصطلح .. فالامة هي الجماعة ﴿**ولتكن منكم امة**

---

٣ ـ المعجم الفلسفي، وضع: مجمع اللغة العربية، القاهرة سنة ١٩٧٩م.

٤ ـ المعجم الكبير، وضع: مجمع اللغة العربية، القاهرة سنة ١٩٧٠م.

٥ ـ دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة العربية ـ الثانية ـ دار الشعب ـ القاهرة ـ مادة «أمة» من تعليق الاستاذ احمد محمد شاكر ـ ونص الراغب الاصفهاني في (المفردات) ص ٢١.

٦ ـ رواه النسائي، عن عائشة أم المؤمنين.

٧ ـ رواه النسائي، عن ميمونة أم المؤمنين.

٨ ـ لسان العرب، لابن منظور ـ مادة: أمة طبعة دار المعارف ـ القاهرة.

٩ ـ التهانوي (كشاف اصطلاحات الفنون) طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م.

**يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ ( آل عمران / ١٠٤ ) . وهي الجماعة والجنس من كل حي ، ولو لم يكن بشرا ﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم** ﴾ ( الانعام / ٣٨ ) .. وهي الجماعة من الناس يربطها رباط « الجيل والقرن » ﴿ **كذلك ارسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم** ﴾ ( الرعد / ٣٠ ) .. وهي أمة ـ أي جماعة ـ كل نبي ، الذين أرسل إليهم ، الذين آمنوا منهم ، والذين ظلوا على كفرهم .. فهم جميعا « أمة الدعوة » ، يجمعها جامع الدعوة ورباطها .. والذين آمنوا منهم هم « أمة الاجابة » يجمعهم جامع الايمان ورابط الاجابة .. ثم هي : الفرد اذا قام ـ بامتيازه وتميزه ـ مقام الجماعة .. كالرجل الذي لا نظير له .. والمعلم الجامع للخير ﴿ **ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا** ﴾ ( النحل / ١٢٠ ) .. والمتفرد بدين الحق رغم طوفان الوثنية والضلال « يبعث يوم القيامة زيد بن عمرو بن نفيل امة على حدة »[١٠] . كما يطلق المصطلح على « الدين والملة » ، كجامع يجمع الجماعة فيجعلها أمة ﴿ **وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون** ﴾ ( الزخرف / ٢٣ ) .. وعلى السنة والطريقة ـ بهذا المعنى ـ وكذلك على « الحين والزمان » ، كرابط جامع ﴿ **ولئن اخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه** ﴾ ( هود / ٨ ) . واخيرا على « الملك » كرباط سياسي يجمع الرعية برباط الدولة .

وعلى هذا الدرب سار ( معجم الفاظ القرآن الكريم ) ، بعدما نظر في المواضع التي ورد فيها مصطلح « الأمة » بآيات القرآن . فقال عن الأمة : انها « كل جماعة يجمعهم امر ما ، وجمعها : أمم . والأمة : الدين .. والحين » . ذلك لأن اربعا واربعين موضعا من مواضع ورود هذا المصطلح بالقرآن قد جاء معناه فيها : « الجماعة من الناس » .. بينما جاء في موضعين بمعنى « الحين » .. وفي موضعين بمعنى « الدين » .. وبمعنى « القدوة ومعلم الخير » في موضع واحد . فموسى عندما ورد ماء مدين ﴿ **وجد عليه أمة من الناس يسقون** ﴾ ( القصص / ٢٣ ) . فهم جماعة جامعها طلب السقاية .. ﴿ **ومن ذريتنا أمة مسلمة لك** ﴾ ( البقرة / ١٢٨ ) جامعها اسلام الوجه لله ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ..** ﴾ ( آل عمران / ١٠٤ ) .. جامعها التواصي بالحق والصبر على مكاره الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم** ﴾ ( الانعام / ٣٨ ) الجامع في كل منها النظام والاشتراك في نمط الخلقة وطرائق العيش .. الخ .

ولقد كانت السنة النبوية الردف الذي سار على نهج القرآن في استخدام هذا المصطلح « الأمة » قاصدا به ذات القصد وواضعا فيه ذات المضمون .. « ان أمتي لا تجتمع على ضلالة »[١١] .. وجامعها رباط الاجابة للدعوة . و « صنفان من أمتي ليس لهما في الاسلام نصيب : المرجئة والقدرية »[١٢] . فالعصيان لم يخرج اهله من جامع الأمة . و « لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها »[١٣] .. فكونها حزبا متميزا لم يخرجها عن جامعة الأمة .. و « الثمل أمة من الأمم .. »[١٤] . و « لولا ان الكلاب أمة من الأمم لامرت بقتلها »[١٥] . فهي جماعة . أي أمة .. الخ .

فهي ، اذن ، الجماعة ، اية جماعة يربطها اي رباط جامع هي « أمة » دونما ضبط او تحديد لروابط بعينها ، أو لعدد محدد من هذه الروابط الجامعة . ذلك هو المضمون الذي اجتمعت عليه أصول العربية ، وساد في حضارتنا الاسلامية .

فهل لهذه « المرونة » التي رفضت التحديد والتقييد ، والتي تركت الباب مفتوحا للروابط المضافة الى الجماعة ، وكذلك لحدود الجماعة ذاتها ، هل لهذا النهج المتميز وهذه الخصوصية العربية الاسلامية دلالة حضارية في ميدان التمايز الحضاري والخصوصيات القومية يمكن رصدها عندما تكون المقارنة بين الأمم والحضارات ؟ وهل في ذلك ما يلقى ضوءا على أمر ذي بال في مفهوم « الأمة » بحضارتنا العربية الاسلامية ؟ لننظر .. في بحث قادم ، ان شاء الله .

---

١٠ ـ حديث مروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

١١ ـ رواه ابن ماجة .

١٢ ـ رواه الترمذي .

١٣ ـ رواه ابن ماجة .

١٤ ـ رواه مسلم .

١٥ ـ رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة ، والدارمي والامام احمد .

لقاء مع :

# الرّجل الّذي يعشق الكُتب والمخطوطات

أجراه : أحمد عابد شيخ / هيئة التحرير
تصوير : عبد الله يوسف الدبيس / أرامكو السعودية

الاستاذ عبدالله بن ماضي الربيعان ـ من اليسار ـ يطلع المحرر على بعض الكتب والمخطوطات القديمة التي تزخر بها مكتبته .

مخطوطتان نادرتان للمصحف الشريف .

تحرص الأمم على الاهتمام بتراثها وحفظه من الضياع، لأنه سجل عادات وتقاليد الأجداد، ويُمثل كيانها وكيان أجيالها القادمة، لتكون بمثابة مصابيح مضيئة لتاريخها الذي كان الكل فيه يعتمد على صناعاته اليدوية التقليدية، وتقيم لذلك معارض ومتاحف عامة لاطلاع الناس عليها .

من الطبيعي ان تضطلع الامم بمثل هذا الجهد الكبير الذي يحتاج الى امكانات ضخمة ، ولكن حين تكون المقتنيات الاثرية والمخطوطات وجمع الكتب القديمة هواية لأحد الاشخاص الذين يستهويهم الماضي . فهذه تعد بالنسبة لنا مفاجأة . وقد تزيد المفاجأة حينما يكون هذا الهاوي رجلا كالأستاذ عبدالله بن ماضي بن عبدالله الربيعان ، وكيل امارة الطائف الذي اقام في منزله بالطائف جناحين جعل الأول منهما مكتبة جمع فيها انفس الكتب والمخطوطات في شتي المعارف ، فيما حول الجناح الآخر الى متحف صغير يضم الكثير من المقتنيات التراثية والشعبية والأواني والأدوات المعدنية والخشبية القديمة .

وقد حرصت « القافلة » على زيارته والتعرف الى مكتبته ومتحفه ومقتنياته في منزله الذي يستقبل فيه زائريه واصدقاءه كل ليلة حيث يتحول مجلسه الى منتدى ادبي يتحاور فيه الحضور في شتى المعارف والثقافة والآداب . وقد تحدث لنا الأستاذ الربيعان عن قصته مع الكتاب والتراث وبداية ولعه بجمع الكتب والمقتنيات التراثية قائلا ، بعد لحظة تفكير وكأنه يعود بذاكرته الى سنوات الطفولة في مدينة البكيرية بالمنطقة الوسطى حيث ولد سنة ١٣٦٣هـ ونشأ فيها ودرس في مدارسها : « ان الكتب الدراسية وما تحويه من رسوم وصور كانت تستهويني ، واكثر ما كان يشدني كتب التاريخ والنصوص حيث احرص على قراءتها ، واتذكر ان اول كتاب قرأته بالكامل كان عنوانه « انابيش » وكان الكتاب عبارة عن قصص وطرائف عربية .

وفي أثناء دراستي الابتدائية كانت مادة التعبير اقرب المواد الى نفسي وكان اساتذتي خلال مراحل دراستي يثنون على ويشجعونني على ممارسة هواية كتابة القصة القصيرة . وفي عام ١٣٨٠هـ تخرجت في معهد المعلمين وبدأت في شراء الكتب بشكل مستمر وجمعها وترتيبها لتصبح مع مرور الزمن مكتبة شخصية امضي فيها اوقات فراغي في صحبة الكتب . واتذكر في ذلك الوقت ان احد اساتذتي واسمه محمد بن عبدالرحمن الخزيم ، جزاه الله عني كل خير ، قد اهداني كتاب « منهج البلاغة » لعلي بن ابي

١ ـ مناقيع مزخرفة ذات أحجام مختلفة ومراوح معدنية يدوية لاذكاء النار عند الطبخ .

٢ ـ الضيف في جانب من مكتبته الغنية بالكتب والمراجع النفيسة .

٣ ـ أوان وصحون وقدور معدنية وخشبية قديمة يضمها المتحف .

٤ ـ بعض البنادق القديمة في متحف الربيعان

طالب ، رضي الله عنه ، ونصحني بأن اشغل فراغي بالقراءة فيه لتحقيق قدر كبير من الفائدة والتعلم ، وكانت نصيحته عاملا مشجعا لي على ممارسة هواية القراءة العامة ، كما فتح لي ذلك الكتاب المهدى آفاقا واسعة لاقتناء الكتب وقراءتها . ومنذ ذلك الوقت بدأت في اقتناء الكتب الدينية والفقهية والثقافية ، واستهواني الذهاب الى المكتبات وقراءة المجلات والصحف ، وعندما شاهدني صديق لي سألني مستنكراً كيف تتعلق بالفروع وتترك الاصول ؟ وكان يعني كيف اقرأ المجلات والصحف ولا اقرأ الكتب والمراجع ، وعندما فكرت في سؤاله اقتنعت ان في مقولته الكثير من الصحة حيث ان من ينشد المعرفة والثقافة ويبحث عن العلوم عليه ان يحرص على قراءة الكتب والمراجع فهي اصل المعرفة ومصدرها ، وليست الصحف والمجلات مصدرا للثقافة والتعليم ، بالرغم من انها تقدم لنا الخبر والرأي والتعليق . ويستطرد الاستاذ الربيعان قائلا :

من خلال تجربتي الشخصية في اقتناء الكتب وتكوين مكتبة منزلية انصح كل صاحب منزل بأن لا يخلو منزله من مكتبة تفيده واسرته حتى لو كانت صغيرة ، ولا شك ان متعة وجود المكتبة لا تقاس بأي متعة اخرى خاصة ان الكتاب يفيد قارئه ولا يمل ولا يكل وهو مصدر الكثير من المعلومات والمعارف ، والمكتبة المنزلية معين لا ينضب لمن ينشد المعرفة والتعلم في اي وقت . ومكتبتي هذه حرصت ان اجعلها كالبستان الذي يضم انواعا من الورود والازهار والنباتات والاشجار ، فهي تضم مئات الكتب والمراجع في الدين والفقه والشريعة الاسلامية والعلوم والاداب والتراجم واللغات والتربية والفنون وقواميس اللغة ، بالاضافة الى عدد من امهات الكتب والمراجع القديمة والمخطوطات ، ومنها على سبيل المثال : نسخة نادرة للمصحف الشريف متوسط الحجم مخطوط باليد بخط النسخ ومزخرف بماء الذهب ، وآخر مخطوط بخط كوفي قديم ومغلف بجلد طبيعي ، وكتاب سحر العيون المطبوع في ٢٣ رجب ١٢٧٦هـ وكتاب صغير عنوانه « متن الشاطبي في القراءات السبع وابيات

٥

٧

٥ ـ الشداد الذي يستخدم لركوب الابل وبجانبه بعض المفارش والبسط والسدو .

٦ ـ مجموعة من الدلال والاباريق ومدق للهيل ومحماس وملقمة .

٧ ـ اوان خشبية ومعدنية لحفظ الطعام وتناول الوجبات الغذائية .

٨ ـ الضيف ـ يمين الصورة ـ يشرح لبعض اصدقائه الطريقة التقليدية لتحميص القهوة العربية .

٦

٨

الخطبة » وهو مخطوط قديم بقلم الفقير سيد يوسف عرية الهوريني ، وكتاب « التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة » وكتاب « مختصر تذكرة الامام ابي عبدالله القرطبي » ، وكتاب « عناية الارب في صناعات شعر العرب » تأليف محمد طلعت ، ويعود تاريخه الى عام ١٨٩٨م .

وقد امضينا معه وقتا طيبا ومثمرا في المكتبة حيث اطلعنا على نماذج من الكتب التي تحمل عناوين غريبة « ككتاب : « ذخائر الاعلاق .. شرح ترجمان الاشواق » تأليف إبن العربي ، وطبع بالمطبعة الانسية ببيروت سنة ١٣١٢هـ وكتاب « تحفة الاخوان في قراءة الميعاد في رجب وشعبان ورمضان » تأليف شهاب الدين احمد بن حجازي الغشني ، وطبع بمصر عام ١٣٧٢هـ

أصدقاء الضيف يطلعون على بعض المقتنيات التراثية في متحفه .

المتحف الخاص بالمقتنيات التراثية والشعبية في قبو المنزل .

بَعدَ ذلك صحبنا الاستاذ عبدالله الربيعان الى قبو منزله حيث اقام في جانب منه متحفه الخاص بالمقتنيات التراثية والشعبية وقال لنا انه بدأ في ممارسة هواية جمع المقتنيات التراثية منذ زمن طويل ، وانه يجد متعة كبيرة في البحث وجمع كل ما هو قديم ، لأنه يعشق القديم من لباس واوان ومواد وآلات واجهزة كهربائية قديمة ، ويرجع ذلك الى تعلقه بالماضي وتراث الاباء والاجداد ورغبته في المحافظة عليه ليكون لديه ولدى ابنائه إلمام كامل بالاشياء التي كانت تستعمل في الماضي . وقد سألناه عن أسماء الاشياء التي يحويها متحفه والتي كانت غريبة بالنسبة لنا فقال : المتحف ولله الحمد بداخله الشيء الوفير ويضم خليطا من المقتنيات والاواني والتحف مما تيسر لي الحصول عليه والتي كان يستعملها الجيل القديم حتى وقت ليس ببعيد ومنها : أوان وأدوات خشبية وقد كانت تستخدم الى عهد قريب في منطقة نجد كالصحاف والموقعة والمدورة والغويطة ومكاييل خشبية ومدق خشبي وصحون ودلال واباريق وساعات حائط وبنادق واسلحة قديمة وشداد ومراكي قديمة وعملات نقدية قديمة ورحى لطحن الحب وابواب واجهزة راديو قديمة جميعها في حالة جيدة وتعمل واشرطة ومسجلات واسطوانات وادوات نجارة ، ومئاتُ الاشياء الاخرى .

وقد قام الاستاذ عبدالله الربيعان بتقديم شرح موجز عن طرق استخدام تلك الاشياء واستخدامها قبل استخدام الاجهزة الكهربائية والالكترونية الحديثة وكيف كان الاجداد يستعملونها . وقد امضينا وقتا ونحن نستمع لشرح عن محتويات المتحف وعمل كل انية .

هكذا عشنا مع الماضي في متحف الاستاذ عبدالله الماضي الذي يضم كل ما هو قديم ونفيس واصيل مما يؤكد اهتمامه بالتراث والرموز التاريخية والمحافظة على سمات شخصيتنا وتراثنا الاصيل □

# الأحلام

شعر: جاسم محمّد الصّحيح/ الأحسَاء

من ترى أقسى على عُمُري ... حُلُمي المجنونُ أم قدَري
ثارت الأحقادُ بينهما ... وانطوى في نارها عمري
أنا والتاريخُ يَحضِنُني ... في سماء الشعر كالقمرِ
لم أكن ـ إمّا انتسبت ـ سوى ... بَشَرٍ من جُملة البشرِ
فاتّئِد في السير يا حلمي ... كيف يجتاز السما ، مدري
وارتفق في الحكم يا قدري ... فالمنى ضربٌ من الفطرِ

★ ★ ★

أنا والأحلام تقذف بي ... عبثاً في قبضة الخطرِ
ليتني أستلُّ زهوتها ... فأعيد النور للبصرِ
أنا كم ناشدت من فلكٍ : ... در كما أهوى ، فلم يَدُرِ
ليس بي حول على سفرٍ ... ما له يمتدُّ بي سفري ؟
أين أرسي زَوْرَقي ولقد ... أنكرت شُطآنها جُزُرِي

★ ★ ★

للورى من مِجْمَري عَبَقٌ ... ولقلبي لفحة الشَرَرِ
ينتشي السُمّار تُطْرِبُهُم ... آهَةٌ تَطْغى على وَتَري
كلما هاجت عواصفها ... تسلب الأوراق من شجري
عبرت بالسامرين صبا ... تسكب الأنسام في السحرِ
عجباً يا آهتي ، أكذا ... يُجتني الفِردوسُ من سَقَرِ

★ ★ ★

خافقي والحبُّ توأمه ... ما ارتوى من مشرعٍ قَذِرِ
تَنْزع الأحقاد بسمته ... من صميم الخافق الأشِرِ
حيث أنَّ الحُبَّ مبتدأه ... يجرح الأشواك بالزهرِ

# فوائد الكشف المبكّر عن سرطان الثدي

بقلم: الدكتور عبد الجواد سعود/ سورية

هذا المقال محاولة لتوعية القراء بأهمية الكشف المبكر عن سرطان الثدي عند المرأة مع التأكيد بأن الشفاء التام ممكن ـ باذن الله ـ اذا اكتشف السرطان في وقت مبكر وهو في مرحلته المجهرية أو عندما يكون صغير الحجم وغير مجسوس بعد .

وبما أن الهدف هو التشخيص المبكر ، فالحديث سوف يشمل الوسائل المستعملة للكشف عنه اضافة الى ذكر العوامل والأسباب التي تعد مهيئة لسرطان الثدي عند النساء اللواتي هن أكثر قابلية للاصابة به .

ونظراً لعدم توفر احصاءات دقيقة في الوطن العربي مع الأسف حول نسبة اصابة النساء بالسرطان بشكل عام وبسرطان الثدي بشكل خاص ، فانني استعنت بدراسات احصائية حديثة حول هذا الموضوع ساهمت باجرائها ـ في فرنسا ـ لدى عملي هناك في مهمة علمية أواخر عام ١٩٨٧م .

يحتل سرطان الثدي في فرنسا المكان الأول من أسباب الموت بالسرطان عند المرأة . وترتبط خطورة سرطان الثدي دائماً وبشكل مباشر بحجم السرطان لحظة اكتشافه . وهذا يعني أننا اذا استطعنا الكشف عن السرطان في وقت مبكر أي عندما يكون في مرحلته المجهرية أو عندما يكون صغيراً غير قابل للجس كانت نتائج العلاج ايجابية أكثر وامكان الشفاء التام أكبر ، وهناك ملاحظتان يجب أن تؤخذا في الحسبان هما :

تبين أن نسبة حدوث سرطان الثدي تزداد مع تقدم العمر مع حد أقصى للاصابة بين ٤٥ـ٧٠ عاماً أي الفترة قبل سن اليأس وبعده .

يحتاج الورم السرطاني في الثدي لكي يتشكل ويكون قابلا للجس أي بقطر عشرة مليمترات حوالي عشر سنوات على الأقل .

لهذا السبب كان الاصرار على أن تتم اجراءات الكشف المبكر عن سرطان الثدي لدى النساء قبل عشر سنوات من الوقت المتوقع لظهور الورم في الثدي والاحساس به أي اعتباراً من سن ٣٥ عاماً .

## وسائل الكشف المبكّر عن سرطان الثدي

يتضمن الكشف المبكر التفتيش عن عوامل الخطورة ثم اجراء الفحوص السريرية والشعاعية والفحوص بالأمواج فوق الصوتية Echography .

## عوامل الخطورة

هي العوامل التي إن وجدت في أي إمرأة فانها تزيد من احتمال ظهور الاصابة بسرطان الثدي لديها مقارنة مع غيرها من النساء ، ومن هذه العوامل السوابق الوراثية والعائلية والعوامل الهرمونية والاستقلابية ، وهناك أخيراً العوامل الاجتماعية والاقتصادية .

ويعد عامل الوراثة مهماً ؛ فقد وجد أن احتمال ظهور الاصابة بسرطان الثدي لدى المرأة يتضاعف عندما تكون لها أخت مصابة بينما يكون الخطر أقل اذا كانت الأم هي المصابة .

أما بالنسبة للعمر فان الاصابة بسرطان الثدي نادرة قبل سن الثلاثين ، ويتطور السرطان عادة وينمو مع بدء ظهور علامات سن اليأس لدى المرأة ، كما لوحظ أن ظهور الدورة الطمثية عند البنت قبل سن الحادية عشرة يضاعف أيضاً من خطر الاصابة بسرطان الثدي . وكذلك فان خطر الاصابة يصبح مضاعفاً اذا تأخرت المرأة في حملها الى ما بعد سن الخامسة والثلاثين .

كما أن العقم ( أو ضعف الخصوبة ) عامل من عوامل الخطورة؛ اذ وجد أنه يزيد من احتمال الاصابة بسرطان الثدي لدى المرأة .

أما البدانة وارتفاع كولسترول الدم فانهما تصنفان من ضمن العوامل التي تزيد من احتمال الاصابة بسرطان الثدي خاصة بعد سن اليأس .

اضافة الى ذلك فقد لوحظ ان ارتفاع المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للمرأة يزيد من احتمال اصابتها بسرطان الثدي ولعل ذلك ناجم عن الضغوط النفسية التي تتعرض لها تلك النوعية من النساء ، ( مما يفسر ارتفاع الاصابة بسرطان الثدي لدى نساء العالم الصناعي ) .

وبشكل عام يمكن القول ان الوراثة والاضطرابات الهرمونية مع بعض الاصابات الغدية أو التليفية السليمة في الثدي أكثر تلك العوامل المذكورة خطورة .

## وَسَائل التشخيص الأخرىٰ

ـ الفحص المتأني والدقيق للمرأة ضروري ، لكنه غير كاف نظراً لأن الطبيب الفاحص مهما كانت خبرته واسعة ـ لا يستطيع أن يكشف سوى الأورام التي يتجاوز قطرها نصف سنتيمتر .

ـ التصوير الشعاعي للثدي : وهو الوسيلة الرئيسة للتشخيص ، حيث يمكن بواسطتها أن تكشف الآفات السرطانية وهي في مرحلتها المجهرية أو عندما تكون صغيرة وغير قابلة للجس بعد .

ـ تصوير الثدي بالأمواج فوق الصوتية : وهو وسيلة تشخيصية مساعدة لكنها ضرورية لاكمال المعلومات التي تم الحصول عليها بالتصوير الشعاعي للثدي حيث يمكن بواسطتها رفع نسبة التأكد من الاصابة الى حد كبير .

وعليه نستطيع من خلال ذلك العرض أن نتبين ضرورة التوجه نحو التشخيص المبكر لسرطان الثدي باعتماد الوسائل التي ذكرتها وهي متوفرة في أغلب المراكز الطبية التخصصية .

ويكفي ـ للدلالة على أهمية الكشف المبكر ـ القول بأننا كثيراً ما نقف حيارى مكتوفي الأيدي أمام سرطان ثدي متطور لا يستطيع أي علاج مهما كان نوعه أن يكون شافياً له . بينما لدينا خيارات متعددة في انتقاء الوسيلة العلاجية الناجعة وتحقيق الشفاء التام ـ باذن الله ـ في حال الاكتشاف المبكر بحيث يمكن للمريضة ـ بعد المعالجة ـ أن تعود الى حياتها الطبيعية شافية ، دونما اشكال □

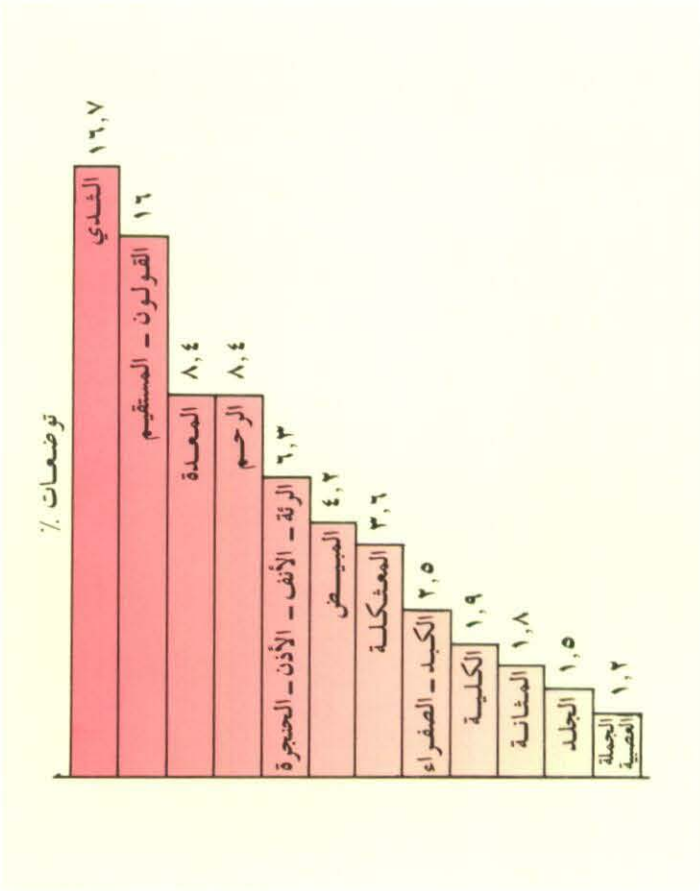


شكل رقم (١) توزع حوادث الوفاة بالسرطان عند المرأة ( في فرنسا )

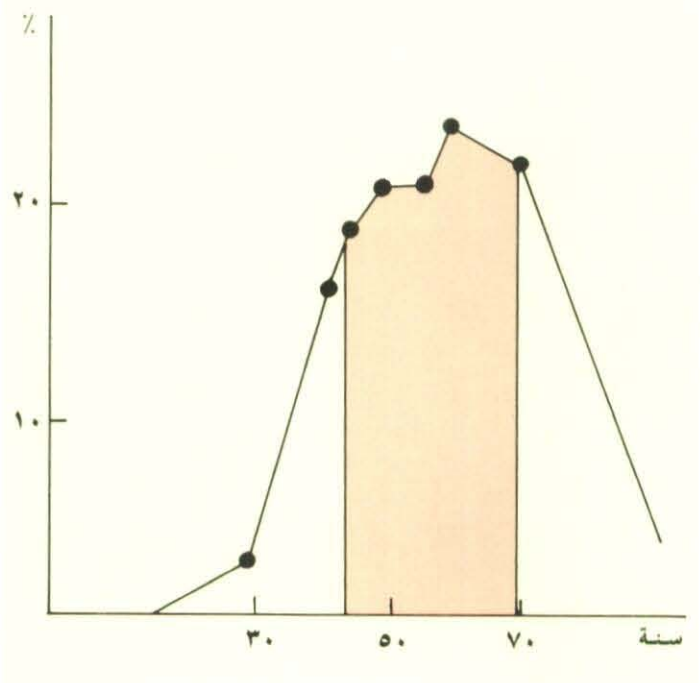


شكل رقم (٢) يبين التوزع العام لسرطان الثدي عند المرأة بحسب العمر

قصّة قصيرة :

# الرّجل والنجوم

بقلم: جار النبي الحلو/ مصر

يجلس الولد النحيل فوق قطعة من الحجر ، يرى السماء الصافية ، ويهتز بدنه من السيارات المسرعة ، تتسع عيناه السمراوان لتحضنا الشارع الكبير ، ووراءه الحارة والاطفال والضجيج ، تلتمع عيناه في عين الشمس المشمشية اللون ، تروح النجمة الورقية تلف وتطير ، تدور في السماء ، تصغر ، يغني هو ، تطير فتحمله لأعلى ، لتسبح رجلاه في الفضاء ، في حضن الهواء يكون ، تلفه زرقة السحب ، يرقص الاولاد ، يصفقون بحماس ، والنجمة تطير تطير ، والدنيا تصغر وتصغر والسماء تتسع . يمدد رجله اليمنى . حذاءه مغبر ، ينظر لأول الشارع ، منتظرا القادم بالنجوم ، تتسع أذناه لصوت يعرفه ، لعربة يحبها ، عربة « سليم »

الذي وعده بالغد ، والغد أصبح يوما في اليد . وهو لن يغيب .

في اللحظة التي يصير فيها النهار بلا ظل ، والناس لا تبين ملامحهم يعود « سليم » دافعا عربته الخشبية بيدين عجوزتين . في الوقت الذي يرجع فيه التلاميذ الصغار لبيوتهم ، وما تزال في جيوبهم بقايا حلوى « سليم » يرجع « سليم » للأولاد في الحارة ، بلهفة للأولاد والطائرات الورقية ، وبوجل من زوجته القابعة في الدار

تأتي العربة الخشبية ذات العجلات الخشبية المؤطرة بحديد صدىء ، التي يعلوها عود طويل من الغاب الرفيع ينتهي بنجمة ورقية لونها احمر واخضر تلف في الهواء ، ويراها الاولاد ، ويحبونها كالعلم .

يدفع « سليم » العربة ، يهتز ما فوقها من : فول سوداني ، واصابع حلوى ، ودوم . وتزداد حركة النجوم في الدوران . تجري قدماه على العهد المخبوء في الاسفلت .

قالت له أمه العجوز التي حملته في بطنها تسعة أشهر ، ان زوجته تهينها وتعطي لها طبق الفول بطلوع الروح . وقالت له زوجته التي تزوجته من سنتين : لماذا لا تسافر الى بور سعيد وتتاجر في القماش والعطور .

وعندما يظهر في الشارع يهتف الاولاد فرحا . تعلو وجهه المتغضن بسمة ، يلتفون حوله ، أياديهم النحيفة تمتد بالقروش القليلة ، يعطي لهم الحلوى ونجومه الورقية ، ويفرح كطفل .

من الشارع الاسفلتي الطويل تتشعب الحواري الجانبية الضيقة . هو يدخل هذه الحارة بعد ان يرفع الاولاد عجلات العربة من فوق الرصيف . نهض الولد النحيل من فوق الحجر ، سار في جذل أمام العربة . يعرف انه يحلم بطائرة ورقية بها نجمة كبيرة ، وميزانها مضبوط يجعلها كعروس ، وذيلها قصاصات كثيرة من الورق . وطلب من « سليم » نجمة زرقاء . و « سليم » يفرح بهم ، يصنع لهم الطائرات الورقية ، يتفنن في صنعها : هذه حمراء وهذه بيضاء وزرقاء ، ولهذه ذيل طويل ، وهذه لها مقدمة كالصاروخ . ويصنع لهم النجوم ، ولا يأخذ ثمنها ، وهذا ما يجعل زوجته تموت غيظا ، وتدهش لأمره ، وتحكي عن حظها الخائب لكل الناس . وكان هذا الغروب الصيفي طيبا اذ عاد « سليم » ببيع جميل ، وقد انتهى من المرور امام مدارس الصغار . وداعبت الغروب نسمة لطيفة مرت على وجه « سليم » اخرج سيجارة من جيب الجلباب ، اشعلها ونفخ الدخان في ارتياح .

في سماء الصيف تطير الطائرات الورقية ، تنتهي بخيوط طويلة من ايدي الصغار فوق الاسطح وفي الشارع الكبير ، ترقص الطائرات سابحة صانعة الوانا رقيقة .

ركن العربة جنب الباب ، اطلت زوجته من النافذة ، هي تنزل لمساعدته ، يجمع الاشياء في صندوق كبير ، والقروش في صندوق صغير .

اقترب منه الولد النحيل :

ـ عم سليم .. اريد النجمة .

مسح « سليم » عرقه ، داعب رأسه النحيل ، قال :

ـ لم انس يا حسن .

وهو يصعد درجات السلم العتيق يشم رائحة دورة المياة ، يصعد بتثاقل ، هو لا يحب رائحة المنزل ، يحب الشوارع الواسعة ، وصغار الحارة .

عندما دخل من باب الحجرة ، قالت زوجته بسعادة :

ـ سيد بك ارسل لك ثانية .

اتجه الى النافذة ، قال دون النظر اليها :

ـ لن اذهب اليه .

القى نظرة على العربة . همس لنفسه : سيد بك !! اوامرك يا بك .. خيرك علينا !! رأى الولد النحيل ، ينظر له الولد الواقف امام الدار . وصل اليه صوت زوجته :

ـ تحب الفقر وتموت فيه .. ستعمل خفيرا .. سيد بك يبني عمارة .. يريدك ان تحرس الرمل والطوب واسياخ الحديد .

يُزرع طول النهار في الشمس بين الطوب والرمل ، وطول الليل يزرع في البرد بين الطوب والرمل ، ثم تستوي العمارة عروسا بطوابق فوق طوابق . بصق . بكى طفله على السرير . ينظر الى ابنه ، هو مثلهم .. ذات العيون ، ذات الشعر ، والبدن النحيل ، يقوم اليه .

ـ ما بك يا محمد ؟

يشده الى صدره .

نجمة كبيرة ، نجمة حين تطير في السماء ، تملأ السماء ، تملأ الحارة ، والشارع ، تدور وتدور فتصنع الهواء ، فيطير السمسم والكتان ، ويزهر القطن ، ويعلو هسيس الشجر غناء لا يتوقف .. تدور .. تدور ، تملأ الحارات بالهواء النقي ، تختفي رائحة العفونة ، نجمة كبيرة بغابة طويلة ، ولا تهتز يد « وليده » حين يجري بها ويجري فتصنع الهواء ، وتلف كل الرؤوس اعجابا بأكبر نجمة تحملها يد صغيرة .

نجمة .. كبيرة .. نجمة كبيرة .

ـ ما بك يا محمد ؟

كف عن البكاء

قالت : خليك وراء الصغار .. حظي الاسود !

يحط الولد برفق على السرير ، يجلس القرفصاء ، تململ ، مد يده تحت السرير جذب ورقة صفراء ، ثم شد ورقة زرقاء ، اعتدل جالسا ، ومد يده وشد غابة رفيعة ناعمة . جلس . سألت : اتأكل ؟

ثنى الورقة ، وقص بالمقص . قالت : أريد نقودا . ثنى الورقة . دبوس صغير .. ثنى الورقة .. سلك رفيع .. الورقة .. الغابة . تشكلت النجمة . ينظر اليها جيدا ، تغمر الصدر راحة ، ويتولد الحب ، لف الخيط الرفيع ، وابتسم . في الغابة الطويلة الرفيعة تكون النجمة الزرقاء .

قالت : هل اشتريت الصابون ؟

ينظر من النافذة .. يرى الولد النحيل .. يراه الولد النحيل ، يبتسم « سليم » و « حسن » يبتسم .

يرمي بالنجمة ، تنزل تدور تدور ، يفرح الولد النحيل ، يبتسم ، يضحك ، يأخذها في حضن كفه ويجري ، تدور النجمة الزرقاء ، يرفعها الولد لأعلى □

# صفحة في اللغة

بقلم: د. نَرِيمان أحمد الحاج - البحرين

## أخذت ، أو أخذ الطائرة أو القطار

من الأخطاء الحديثة التي انتقلت الينا عدواها من الترجمات الحرفية عن اللغات الأجنبية قولهم في السفر : أخذت الطائرة من مكان كذا الى مكان كذا ، أو خذ الطائرة أو القطار ، بدلا من : سافر في الطائرة ، أو اركب القطار . ومثله أيضاً قولهم : خذ وقتك ، بدلا من تأن ، أو تمهل .

## هوي ، وهوى

كثيرون هم الذين لا يكادون يفرقون بين هذين الفعلين في الاستعمال ، وبخاصة عند اسنادهما الى الضمائر ، فيضعون أحدهما مكان الآخر ، وشتان ما بينهما .

أما مفتوح الأول ومكسور الثاني فهو بمعنى أحب ، ومضارعه يهوى ، بفتح الواو ، تقول : هَوِي الطفل أمه ، وهوي المرء وطنه ، فهو يهوى . قال تعالى : ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس** ﴾ ( النجم / ٢٣ ) ، وقال تعالى : ﴿ **أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم** ﴾ ( البقرة / ٨٧ ) . وقال المقنع الكندي ، واسمه محمد بن ظفر ، يعاتب ابناء عمه :

**وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وان هم هووا غيي هويت لهم رشدا**

فلكم سمعت قراءة الفعلين في هذا البيت خطأ بفتح الواو فيهما ، ففسد المعنى .

وقال غيره :

**أراك اذا لم أهو أمراً هويته ولست لما أهوى من الأمر بالهوي**

أما هوى ، بفتح أوله وثانيه ، فهو بمعنى سقط ، ومضارعه يهوي ، بكسر الواو . قال تعالى : ﴿ **والنجم اذا هوى** ﴾ ( النجم / ١ ) . وقال تعالى : ﴿ **ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى** ﴾ ( طه / ٨١ ) . وقال تعالى : ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق** ﴾ ( الحج / ٣١ ) . وقال تعالى : ﴿ **فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم** ﴾ ( ابراهيم / ٣٧ ) .

## عقد قيم

نسمعهم كثيراً يقولون : هذا عِقد قيم ، ويقصدون أنه غالي الثمن . والأولى أن يقال : عقد نفيس ، أو عظيم القيمة ، أو غال ، أو كريم ، أو ما في هذا المعنى .

ووجه هذا الاعتراض هو أن « القيم » في اللغة معناه المستقيم . قال تعالى : ﴿ **ذلك الدين القيم** ﴾ ( التوبة / ٣٦ ) . وقال تعالى : ﴿ **أمَرَ ألا تعبدوا إلا أياه ذلك الدين القيم** ﴾ ( يوسف / ٤٠ ) . وقال تعالى : ﴿ **ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ( الروم / ٣٠ ) ، وقال تعالى : ﴿ **فأقم وجهك للدين القيم** ﴾ ( الروم / ٤٣ ) . وقال تعالى : ﴿ **الحمدلله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه** ﴾ ( الكهف / ١-٢ ) .

فمعنى القيم في الآيات المستقيم الذي يميز الحق من الباطل ، لا زيغ فيه عن الحق ولا ميل . ومن معاني القيم أيضاً : السيد وسائس الأمر الذي يقوم به . ولذلك سمي ابن القيم وهو ابن القيم الجوزية اذ كان أبوه قيماً يقوم على تدبير أمر مدرسة الجوزية بدمشق ، فسمي كذلك نسبة اليه .

وقيم المرأة زوجها ، لأنه يقوم بأمرها ويسوسه ، وهذا قريب من قوله تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء** ﴾ ( النساء / ٣٤ ) .

ومن معانيه أيضاً : « خسن » ، يقال : « فلان ذو خلق قيم » .

وعلى هذا ، فان كلمة « قيم » لم ترد بمعنى النفيس أو الغالي ، وان أجازها مجمع اللغة العربية ، إلا أنها تعني « ذو قيمة » قليلة كانت أو عظيمة ، فلا تعني النفاسة على وجه التحديد الا اذا كانت هناك قرينة تؤيد ذلك .

أولادنا كيف نتعامل معهم؟

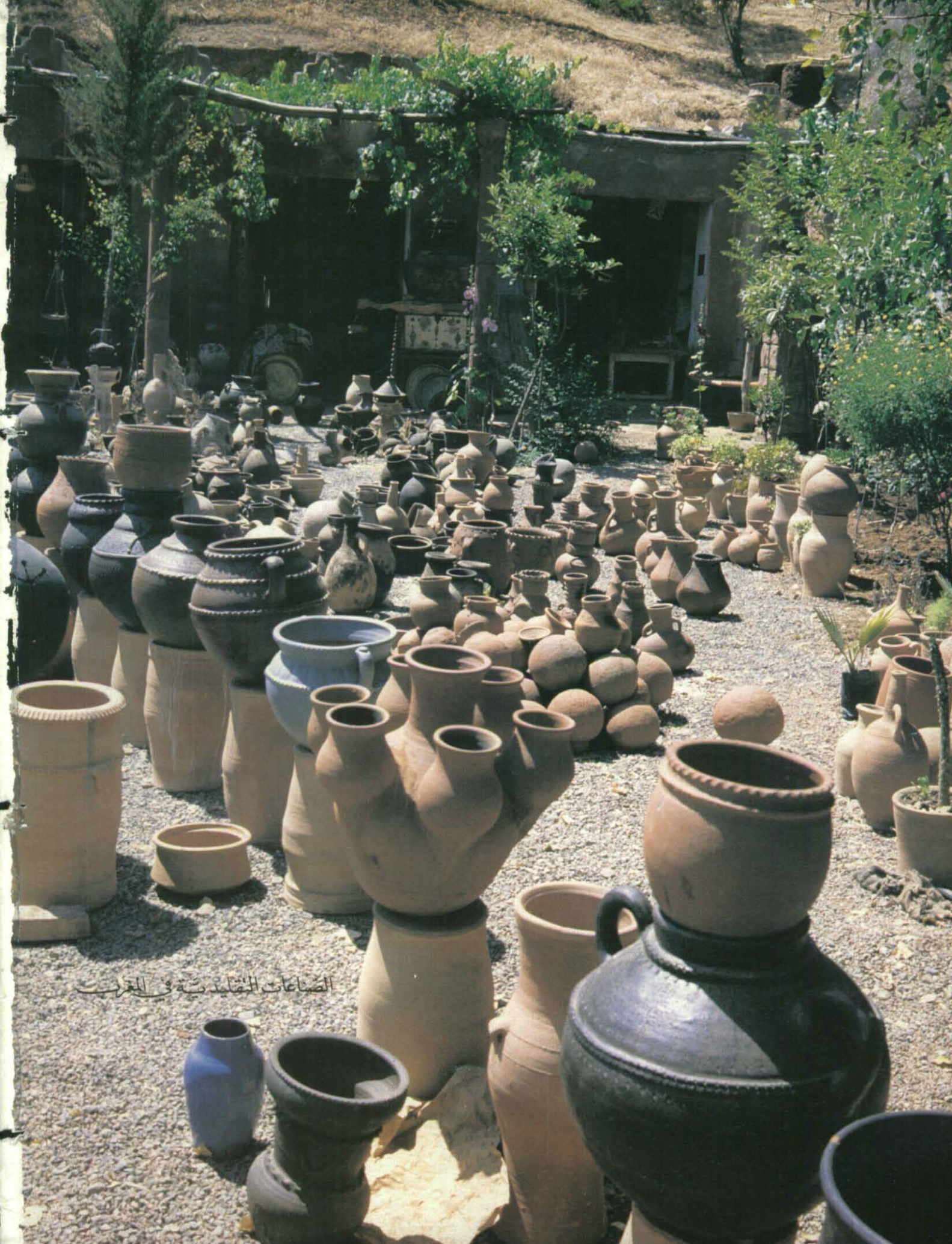
الصناعات التقليدية في المغرب